نزار ياسر الحيدر

عندما غزا صدام الكويت

مذكرات جندي أحتياط



الفصل الاول
اليوم الاول

شاء القدر أن أكون عشية غزو صدام للكويت على مشارف حدوده البرية (جندي احتياط كاتب) في موقع الدريهمية بسبب وشاية مؤلمة من قبل أحد (المندائيين) والتي نقلت بسببها من بغداد إلى البصرة ، وبعد معاناة كبيرة استمرت لأكثر من سنة ، ثُبِّتُ في هذا الموقع العسكري كجندي كاتب ،حيث كان يتمحور العمل فيه على تقديم الخدمات الإدارية لقطعات الجيش في منطقة البصرة، كالطعام والأرزاق ، وكان يقع بجوار مدينة الزبير مقابل مصنع البتروكيمياويات ، لأن شعلة هذه المؤسسة كانت تنير ليالي الموقع بدون انقطاع . لقد كان لهيب صيف الصحراء أثناء النهار لايطاق؛ لكننا كنا نستمتع ببرودة هوائها ليلا، إذ نفترش شبه أسرة صنعت من نفايات الجيش وبقايا معداته المتآكلة أصلا؛ كي نرتفع عن الأرض لمسافة قدم أو أكثر قليلا، هروبا من العقارب السامة الصفراء التي تكثر في تلك المنطقة، التي يصعب عليها تسلق أرجل السرير ، كي تلسع الجنود المساكين المستلقين في العراء، الذين طالت خدمتهم العسكرية حتى أنهم يجهلون متى يعودون إلى أهلهم بسلام ، بعد أن خاض الكثير منهم حرب الثماني سنوات مع إيران، ونجا كل منهم بأعجوبة، فاستمروا بخدمة (العلم) أو الاحتياط حتى ذلك الوقت، وأنا كنت واحدا منهم .

نظرا لكوني أعمل بقلم إدارة الموقع وأطلع على المراسلات والبريد، أنا ومن معي من ضباط الصف والجنود الذين يقل عددنا عن العشرة؛ شعرنا أن هناك حركة غير طبيعية للجيش دخلت قاطع البصرة قبل أيام من الغزو، حيث دخلت قطعات من الحرس الجمهوري والقوات الخاصة، والكثير من القطعات المدرعة والساندة بشكل يثير الانتباه ، وكان ضباط الإعاشة والميرة يراجعون موقعنا للتزود بالأغذية والمواد التموينية لوحداتهم ، بحيث أننا فوجئنا بكثرة هذه الطلبات غير المسبوقة ، وكنا نسأل ضباط هذه الوحدات عن الغاية، وسبب تواجد قطعاتهم في البصرة ، فكانوا يجيبون بأنهم لايعلمون أي شيء عن الواجب !! لكننا كنا نربط الأخبار التي نستمع لها عن طريق المذياع والمحطات الأجنبية بما نراه على الأرض ، وما يدور من أنباء حول الأزمة السياسية بين العراق والكويت، ومطالبة نظام صدام بمبلغ مليارين ونصف المليار دولار كتعويض من الكويت للعراق عن خسائر مُني بها العراق جراء انخفاض أسعار النفط، أو الاتهام الذي وجه إلى الكويت لسحبه كميات من نفط الرميلة الجنوبي العراقي، كذلك كنا نسمع بلقاءات الوفود العراقية الكويتية والوساطات السعودية؛ لكن الجميع – بصراحة – كان يستبعد أن تُشنَّ حرب جديدة والعراق لايزال يئن من حربه مع إيران، التي أكلت الأخضر واليابس، وخرج العراق منها بخفي حنين !! .

كنا نسأل ضباط تموين الوحدات الذين جاؤوا إلى وحدتنا يطلبون الأرزاق عن أوضاعهم العامة، فكانوا يشكون لنا حالهم ويقولون نحن لانعرف ماهي مهمتنا في البصرة وليس لدينا مكان نعسكر به ولاتزال قطعاتنا تقف في

مداخل وشوارع البصرة، والجنود يستظلون بالنهار تحت سيارات الجيش ودباباتهم هربا من حر وشمس تموز القاتلة ، واستمروا على هذا الحال لأكثر من أسبوع ، فمنهم من يتجه إلى البصرة ومنهم من يتجه إلى الكويت وآخرون يتجهون إلى الناصرية وآخرون إلى الفاو، حتى أن منهم من يتجه إلى الشلامجة / إيران !!! .

كانت الأخبار تتلاحق وتتصاعد المواقف بين العراق والكويت لكن الجميع يستبعد أن تكون هناك حرب بالمطلق ، والكل يقول إن هذه القطعات جيء بها للضغط على الكويت ليس إلا .

في مساء 1 /2 آب 1990 استلقينا – نحن مراتب القلم – كل على سريره، وكان لدي راديو يعمل بالبطاريات أستمع منه إلى الأخبار، وكانت الأمور تبدو مثل كل يوم وليس بها جديد؛ عندها خلدت إلى النوم مستمتعا ببرودة صحراء الزبير الليلية، ومستعدا لنهار قائض جديد يعز فيه الهواء والماء البارد، حتى كانت الساعة الرابعة فجرا فإذا بأصوات أعداد مهولة من طائرات الهليكوبتر تمر فوقنا قد تصل إلى خمسين طائرة، وبنوعيات وألوان مختلفة تحلق بشكل مجموعة متقاربة المسافات متجهة إلى الكويت ، فاستفقنا جميعا على أصواتها المدوية، وبدأنا نتساءل ونبحث في موجات الراديو فلم نسمع شيئا مفيدا، وكان كل شيء طبيعيا، ثم توالت طائرات الهليوكوبتر بشكل ثنائي وأحادي متجهة إلى الكويت، واستمر هذا المشهد حتى بزوغ الشمس وطلوع النهار، ثم بدأت بعض هذه الطائرات بالعودة باتجاه البصرة، عندها بدأنا نستمع إلى نداء إذاعي يبدو أنه مسجل مسبقا للطوارئ، وكان بصوت الأمير جابر الصباح، أمير الكويت، وهو يستنجد بالعرب ويقول مانصه : (لقد استباحوا الكويت... أنقذونا ياعرب... اليوم علينا وغدا عليكم ...) وكان هذا النداء يتكرر باستمرار، وتتحول الموجه بالراديو وكأنها تختفي ثم تعود مرة أخرى إلى نفس المكان، واستمر هذا النداء لمدة أسبوع بعد الغزو... ثم انقطع بعدها نهائيا !!؟ .

عند الفجر علمنا بأن سيارات الحرس الجمهوري المحمول عليها رشاشات ثقيلة انطلقت منذ الفجرمع توجه الطائرات إلى الكويت ، حينها بدأنا نستمع إلى الراديو، وإلى البيانات التي أعلن فيها العراق اجتياح الكويت، وعن انقلاب قام به ضباط كويتيون استولوا على السلطة، وهروب أمير الكويت إلى السعودية، وتفاعلات الأحداث المعروفة للجميع ، ثم استأنفنا عملنا الاعتيادي في مكتب الموقع، وبدأت تتوالى طلبات وحدات الجيش من احتياجات تموينية لوحدات اجتاحت الكويت .

عند انتهاء الدوام ظهر ذلك اليوم المليء بالأحداث، وتوالي الأخبار وتضاربها؛ ازداد الخوف والقلق الذي انتاب الجيش، وأيقن الجميع بأن العراق دخل بأزمة وحرب مدمرة جديدة، خصوصا ونحن نستمع إلى البيانات العسكرية التي تستدعي الاحتياط واستنفار الدولة. ذهبنا ظهرا لنستلقي على أسرتنا في ذلك اليوم القائض ، وتحت رحمة المروحة السقفية التي تنفث هواءها اللاهب علينا، حتى أمست الساعة الثالثة والنصف ظهرا، فإذا ببعض الجنود تتعالى أصواتهم ليعلنوا أن الجيش جلب أسرى كويتيين إلى الموقع ، فنهض الجميع وخرجنا إلى مقر الموقع، فإذا بنا نرى ثلاثة عشر باصا من باصات النقل الداخلي الكويتية الزرقاء من نوع مرسيدس(التي استخدمت لاحقا في شوارع بغداد لنقل الركاب) مملوءة بأعداد كبيرة من الرجال المختلفين في

أشكالهم وملابسهم ،فيهم عسكريون، وشرطة كويتيون، وهناك مدنيون بدشاديشهم، وهنود وباكستانيون وفلبينيون وايرانيون، وغيرهم أجانب من جنسيات مختلفة، حتى عراقيون !!! وكان كل باص يحرسه جندي مسلح يجلس بجانب سائق الباص، يتقدم رتل الباصات سيارة بيكب مسلحة يجلس ضابط برتبة نقيب حرس جمهوري في مقدمتها، وفي مؤخرة الرتل هناك أيضا سيارة بيكب مسلحة .

لقد كان جميع الركاب يلهثون من العطش، ويطلبون الماء وبيدهم قناني ماء فارغة أجهل من أين حصلوا عليها ؟، يستنجدون بالجنود الذين أحاطوا بالباصات يتوسلونهم كي يملؤون لهم هذه القناني، وكان قسم منهم يتوسلون ويريدون أن ينزلوا من الباص كي يقضوا حاجاتهم، أو لغرض أداء الصلاة، والجنود الحراس المسلحون في الباص يمنعون إنزالهم؛ فقمنا – نحن جنود الموقع – بالتناخي واستنهاض بعضنا البعض كي نسقي هؤلاء الأسرى العطاش؛ لكننا كنا أصلا نعاني في الموقع من شحة الماء الصالح للشرب بسبب سوء خدمات الإعاشة العسكرية، وعدم وجود سيارة حوضية لجلب الماء للموقع، ولأن الجميع يريد أن يشرب ولثلاثة عشر باصا مليئا بالبشر، ولأننا لسنا مستعدين لتلبية طلبات الجميع مرة واحدة؛ قمنا بانتزاع (سطلات) الحريق الموضوعة في الموقع وأسرعنا بملئها من خزانات الماء (الصدئة) وبدأنا بملء قناني الماء الفارغة كي نسقيهم، وعمل الجنود سلسلة بشرية لنقل الماء، وبعد أن سقينا الجميع تقريبا بدأنا نتوسط لدى الضابط النقيب الذي يقود الرتل بأن يسمح للبعض منهم بالنزول لقضاء حاجته، أو الصلاة؛ فوافق على شرط أن ينزلوا بشكل منفرد وكان يصرخ علينا : (تريدون تهجمون بيتي... كلهم معدودين علي واحد واحد... ولازم أسلمهم الى جهة لاأعرف أين هي !!!!) . وكان يغادرالسيارة ويتصل بالتلفونات من مقر الموقع ولاأحد يجيب أويرد عليه أو يخبره أين يجب أن يأخذ هؤلاء الأسرى ولمن يسلمهم !!!؟.

كنت أدور على الباصات وأنا أحمل (سطل) الماء الحار وأملأ لمن يريد المزيد من الماء حتى وصلت إلى آخر الباصات؛ فاذا بي أجد أربعة أو خمسة أشخاص أوربيي الشكل وهم مدنيون، ويبدو عليهم أنهم شخصيات مهمة، فاستنجدوا بي وقمت بملء قنانيهم الفارغة بالماء، وسألوني هل أجيد التحدث بالإنكليزية، فأجبتهم بالإيجاب فكلمني أحدهم عبر نافذة الباص بما معناه (إنه السكرتير الأول للسفارة السوفيتية في الكويت، وأبرز لي هويته الدبلوماسية، وقال إنه لايعرف لماذا هو هنا في هذا الباص، فقد فوجئ وهو ذاهب إلى مقر عمله صباحا بأن القوات العراقية أنزلته من سيارته الدبلوماسية هو وسائقه وتركوها في عرض الشارع وأصعدوه بالقوة إلى الباص) وهو يتوسل لهم ويقول لهم إنه دبلوماسي وهويته هذه؛ ولكن ما من أحد يستمع له وهو لايعرف مع من يتحدث، ولايريد أحد أن يستمع له فقال الأشخاص الاخرون الأجانب الذين بقربه – وهم أيضا يتحدثون الإنكليزية – إنهم دبلوماسيون أيضا، ومن دول أوربية أخرى لا أتذكر بالضبط من أين، وتوسلوا بي أن أساعدهم بإقناع آمر الرتل بوضعهم الخاص، وإن الدبلوماسي السوفيتي أخبرني بأنه مريض بالقلب ولديه دواء يجب ،ن يتناوله بموعده ولا أحد يعرف عنه أي شيء، فتناخيت مع نفسي وذهبت إلى آمر الرتل النقيب، وبعد أن أديت له التحية العسكرية أخبرته بقصة هؤلاء الدبلوماسيين، وبوضعهم

الصحي فأجابني بإنه استلم هذه القافلة بعدد مثبت لديه بكتاب رسمي ويريد أن يسلمهم في العراق إلى جهة لايعرف ما هي، وهو يجري اتصالاته مع المراجع وينتظر الرد، ولايستطيع أن يفرج عن أحد منهم لأنه سيُحاسَب على كل واحد منهم، لكنني توسلت إليه وأخبرته بأن في الباص الأخير يوجد دبلوماسيون، وهؤلاء أناس وراءهم دول يمكن أن تحصل مشاكل سياسية لها مع العراق بسببهم؛ وخاصة أن أحدهم مريض بالقلب فقال : (أخي أنا أفهم كلامك؛ لكنني لاأستطيع التصرف بمفردي، وسأقوم بإخبار من سيستلمهم مني لعله يستطيع مساعدتهم) فعدت مسرعا إلى الباص الأخير وأخبرت الدبلوماسيين بما دار بيني وبين آمر الرتل بعد ان ملأت لهم قناني الماء مرة أخرى من (سطل) الحريق الذي استخدم هذه المرة لإطفاء عطش الأسرى وليس حرائق الوحدة، حتى انطلق الرتل مغادرا وخرج من موقع الدريهمية إلى حيث لا أدري، أو يدري أحد، والله أعلم أين حل بهم الدهر.

المؤلم في هذا المشهد أن بعض الأسرى الموجودين في تلك الباصات رجال عراقيون يعملون في الكويت جرى أسرهم بشكل عشوائي من الشارع وهم يصرخون بأنهم عراقيون ولكن ما من مغيث !!!

الفصل الثاني
الفرهود

على الرغم من الأسباب والحجج الواهية التي أطلقها النظام الصدامي، التي جعل منها مبررات بها يقنع نفسه لغزو الكويت؛ إلاَّ أن الحقائق والأدلة كانت تقول غير ذلك، فالنزعة العشائرية، والقيم والتقاليد البدوية، وحب الغزو والنهب المرافق له، وانتزاع الغنائم بالقوة من مالكيها، التي تربت عليها قيادات النظام، وما أشيع من ثقافة القيم البالية، إضافة إلى حب السلاح والتفاخر بامتلاكه، والتباهي به أمام الآخرين، واعتبار هذه الأفعال من قيم (الفروسية) والرجولة التي مسخوا مفاهيمها وحرفوا معادلاتها؛ فبعد ساعات من غزو الكويت واستباحته، وعلى الرغم من ادعائهم بأنهم دخلوا بناء على (نداء) الضباط الكويتيين الأحرار الذين نفذوا انقلابا عسكريا ضد الأمير، وبعد أن ظهر هؤلاء الضباط كدمى كارتونية على شاشات التلفزة وهم يرتدون زيا عربيا كويتيا كأنهم يرتدونه لأول مرة، وصدام يستقبلهم في مقر قيادته، ويظهر وهو يضحك ساخرا منهم، وفي سره يهزأ من القدر الذي مكنه من اللعب بمقدرات العراق؛ بدأت تظهر بوادر الفرهود من الكويت منذ الساعات الأولى للغزو؛ فكان الجنود الذين يذهبون بواجبات إلى الكويت يعودون محملين بهذا الفرهود ابتداء من الذهب والمجوهرات، التي حصلوا عليها من أسواق الصاغة بعد أن كسروا المحلات، ونهبوا ما فيها؛ لأنهم في الكويت كانوا لايخزنون بضائعهم الثمينة بالخزائن الخاصة عندما يقفلون محلاتهم، فهم، وبكل بساطة، كانوا يعيشون آمنين في وطنهم الصغير المسالم، لقد نهبت كل الأسواق والمحلات ولم يبقَ بيت إلاَّ ونهب؛ خاصة تلك البيوت التي هرب منها أهلها وتركوها فارغة بعد الغزو، ولم تسلم من النهب المؤسسات ولا الدوائر الحكومية، وبدأت تدخل سيارات النقل من الكويت إلى العراق بجميع أشكالها وألوانها وأحجامها محملة من كل شيء، بما فيها السلع والبضائع المختلفة .

لقد كنا – نحن الجنود – في موقع الدريهمية نراقب مايجري من مأساة عجيبة غريبة؛ لأننا كنا على الطريق بين الكويت والعراق، وكنا نتساءل في قرارة أنفسنا : ألم يقولوا إنها ثورة شعبية في الكويت والعراق ذهب لمناصرتها ؟ وبعد أن أُعلِنَتْ الكويت المحافظة التاسعة عشرة، وأصبحت جزءا من العراق، إذاً لماذا تُخرب ؟ ولماذا تُنهب ؟ وكنا نسمع من الجنود الذين نلتقي بهم في موقعنا المزيد من القصص العجيبة والغريبة مما يحصل في الكويت وخاصة عندما عُيِّن (علي كيمياوي) محافظا على الكويت، ودخول قطعان الجيش الشعبي إليها، وكيف كانوا يأتون على كل شيء أمامهم كأسراب الجراد ينهبونه أو يخرِّبونه، هكذا كان الموقف والحديث يطول ويطول، والدهشة لاتفارقنا مما يحصل؛ لأننا كنا نشاهد بأمهات أعيننا أكبر عملية فرهود بالعالم.

واحدة من القصص المضحكة التي عايشتُها شخصيا أن آمر موقعنا (المقدم) ذهب بواجب إلى الكويت بعد أسبوع من الاجتياح ومعه مفرزة للحراسة كمرافقين من سرية حراسة الموقع في صباح أحد الأيام القائضة،

فعاد في نفس اليوم عصرا من هناك، هو ومرافقوه، وبعد أن وصلوا بدؤوا يحكون قصصهم العجيبة والغريبة عما يحصل في الكويت، والجنود يستمعون إليهم باستغراب، وكنتُ سارحا في مخيلتي لأنني أحتفظ بذكرى جميلة عن مشاهداتي من خلال سفرة قمت بها إلى الكويت عام 1977 ، وشاهدت الفَرْق في التطور الحاصل فيها، وقارنته حينها بالعراق، وكم كنت أتمنى أن يصل إلى درجة من الرفاهية والرقي الحضاري الذي وصل إليه الكويت؛ فتألمت وأسفت على ماجرى لهذا البلد الجميل، وبعد أن انتهى الجنود من الحديث أخبروا اصدقاءهم أنهم جلبوا لهم هديتين من الكويت، الأولى كانت صورة زيتية للفنانة (سميرة توفيق) مرسومة بريشة فنان هاوٍ، وتظهر عليها مفاتن صدرها، وهي بمساحة لاتزيد عن نصف متر مربع، وكان الجنود فرحين جدا بهذه الصورة المثيرة لهم، التي انتزعوها من جدار أحد المقاهي الذي كانت معلقة عليه، ثم قاموا على الفور بتعليقها على جدار مطعم الجنود المراتب في الموقع، وكانوا ينظرون إليها وهم سعداء بما يشاهدونه، والهدية الثانية هي عبارة عن عشرة صناديق مليئة بعلب عصير عنب (الراوخ) النمساوي الصنع وجدوها مركونة في زاوية أحد المخازن، جلبوها ليشربها الجنود لعلهم يطفئون ظمأهم، فما أن علم الجنود بهذه الصناديق، وكانت حرارة الجو تلهب الأحشاء، حتى هجموا عليها، وبدؤوا ينهبونها ليشربوها؛ إلاَّ أنني صرخت بهم، وطلبت أن نتأكد من انتهاء صلاحيتها، ولأنني كنت أحظى باحترام لديهم؛ تمهلوا قليلا وناولوني واحدة من العلب فبدأت أقرأ الصلاحية المكتوبة باللغة الإنكليزية؛ فإذا بي أفاجأ بأنها مصنوعة عام 1982 وصالحة للاستعمال لمدة ستة أشهر من تأريخ الإنتاج ! فرفعتُ صوتي، خوفا عليهم من التسمم، وشعر الجميع بالإحباط، وعدم الرضا عن هذه المفاجأة، حتى خرج أحدهم وتظاهر بأن لديه حل لهذه المعضلة؛ فقال : { أنا أعرف شلون ينشرب هذا العصير } فقلت له : كيف ذلك وهو منتهي الصلاحية منذ ثمان سنوات ؟ فقال : الآن سترى، وكان الجمع ينظر إليه بانتظار ما سيفعل، فجلب إناء لشرب الماء (دولكة) وفتح عددا من العلب، وسكبها فيه، فظهر أنه تالف، وفيه ترسبات، ووضع قطعة من الثلج في الإناء وبدأ يحرك الثلج في العصير، ثم قال : { يا إخوان، الآن العصير جاهز، اليريد يشرب على مسؤوليتي } فشرب الجميع غير مبالين بصرخاتي بهم، ولم يلتفت عليَّ أحد منهم، حتى أطفؤوا ظمأهم بهذا العصير التالف، وقالوا لي مازحين : اطمئن، نحن خلال خدمتنا في الجيش العراقي أكلنا أسوأ من هذا الطعام، وهئنت ترانا نعيش، ونعمل، ونحارب، ولايهمنا شيء، ونبقى حديدا إن شاء الله !!! .

الفصل الثالث

أبو النعوش

خلال الأسابيع القليلة بعد غزو الكويت بدأت تقرع طبول الحرب والإنذارات تتوالى من الولايات المتحدة وبدأت التهديدات ، وفرض على العراق حصار قاس جدا على جميع الأصعدة ، وفي الجانب الآخر – العراق – بدأت الاستعدادات للمواجهة والتصدي لحرب باتت متوقعة واستنفرت كل إمكانات العراق البشرية والمادية والمعنوية للمواجهة ضد تحالف تشكل من أكثر من ثلاثين دولة لطرده من الكويت.

ومن هذه الاستعدادات ، وبعد تعبئة الجيش العراقي الذي أعيد استنفاره ودعوة الاحتياط وزجه للمواجهة مع الجيوش الجرارة التي قررت طرد العراق بالقوة من الكويت؛ تقرر أن تشكل وحدات مختلفة لتقديم الدعم اللوجستي للجيش العراقي، وفعلا تشكلت عدة وحدات إدارية ولوجستية، وأحدها كان (مركز تسليم الشهداء في الدريهمية) وعين لإدارته ضابط برتبة عميد متقاعد أعيد للخدمة بعد استنفار الجيش وتقرر أن يكون مقر المركز في حلبة سباق الخيل في البصرةالواقعة على أطراف مدينة الزبير، ولأن هذا المركز عائديته إلى موقع الدريهمية إداريا ، فقد كان هذا العميد لحوحا ولجوجا بأن يستكمل كل احتياجات هذا المركز بسرعة وبشكل مبالغ به بعد الأسبوع الثالث للاجتياح حيث كانت هناك فرص كثيرة لحل هذه الأزمة سلميا، ويخرج العراق من الكويت بدون مشاكل؛ لكن الغريب أن هذا العميد كان مصمما منذ أول يوم تسلم به منصبه أن يوفر للمركز كل مايحتاجه لاستلام وتكفين وتسليم ما لايقل عن خمسة آلاف شهيد؛ فكان يطلب منا – نحن مكتب موقع الدريهمية – أن نبعث إلى المراجع طالبين أن يوفروا للمركز الاحتياجات الضرورية لهذا العدد من الشهداء من (نعوش خشبية ، وآلآف الأمتار من القماش الأبيض ، وآلاف الأمتار من النايلون) والأعلام العراقية وكان يطلب أيضا(جنود شغل) بالمئات وشاحنات تبريد بالعشرات، كذلك كان يطلب توفير وقود الديزل لتشغيل هذه البرادات .

لقد كان إصراره على أن يحصل على كل طلباته وزياراته الصباحية للموقع يوميا وتأكيداته للمراجع للحصول على مايريد – وكأن الحرب ستحصل قريبا لامحالة – نذير شؤم لنا لأن ما من أحد يتصور أن الحرب ستقع وسيسقط هذا العدد من الشهداء وبهذه السرعةفكنا نتهامس بيننا – نحن الجنود – في مكتب الموقع صباح كل يوم بأن (أبا النعوش) وصلوسيفتح (القوانة) اليومية ويطلب منا التأكيد على المراجع بسرعة التجهيز بعد أن يتاكد أن لاجواب من المراجع للرد على طلباته وبمرور الأيام والأسابيع بدأنا نداعبه ببعض الجمل وتبين أن أبا النعوش رجل طيب وعراقي وعسكري ملتزم وله خبرة في هذا المجال لأنه خدم في الحرب العراقية الإيرانية بنفس المسؤولية ، فكنا نقول له : (سيدي ليش أنت متشائم إلى هذا الحد، ومنو يكول راح تصير

حرب ، ويسقط شهداء) فيرد علينا مستهزئا وبشكل ودي : (أزين شواربي هاي إذا ماراح تعلك) وكنا نستغرب من هذه الثقة التي عنده وكنا نقول بيننا : ربما هو عسكري مضبوط ويحب عمله لدرجة أنه يتمنى أن يمارس اختصاصه بأسرع ما يمكن، حتى وإن كان الحاصل هو سقوط شهداء لذلك كنا بصراحة نتشاءم بقدومه.
ومرت الأيام والأسابيع والأشهر ولم يُوفَّر من طلبات السيد العميد إلا مائة نعش خشبي، ومائة علم عراقي، وأمتار من القماش والنايلون، وبرادين ظهر أن التبريد فيهما عاطل لايعمل، وبعض المئات من لترات الديزل ، كذلك نسبوا لمركزه عشرة جنود كبار السن وأغلبهم غير مسلحين (كل منهم يعاني من خلل في إحدى عينيه) سيقوا لخدمة الاحتياط من أقاصي العراق ، وكان هو طيلة الخمسة الأشهر قبل الحرب يشكو من أنه ومركزه بورطة كبيرة ولايعرف كيف سيتعامل مع قوافل الشهداء التي ستنسرب على مركزه عند بدء الحرب. !!!
وحصل ما جاء بتحليلات السيد العميد وبدأ القصف الجوي ليلة 1991/1/17 وكانت ليلة ليلاء بعد أن ضاقت بنا الأرض الواسعة ، وبدأت سيول الشهداء تغرق مركز تسليم الشهداء المتواضع الإمكانيات، وبدأ أبو النعوش يرسل لنا قوائم بأسماء ووحدات الشهداء الذين يستلمهم، فكان يقوم بتكفينهم ويضعهم في النعوش ويرسل كلا منهم مع جندي مأمور إلى أهله ، كان هذا يحصل قبل أن تتقطع الجسور والطرق التي تربط البصرة بباقي مدن العراق ، وعندما ينتهي من عمله يأتي لموقع الدريهمية ويصرخ ويهستيريا واضحة ويطالبنا بأن نكتب للمراجع طالبين أن يستكملوا له ما طلبه من مواد يحتاجها للمركز وبعد أن يهدأ ويرتاح من الكلام يلتفت إلينا ويقول وهو ماسك شاربه (ها شكلت ؟. (
المحزن المبكي في هذه المشاهد هي أن جميع الجنود كانوا يهرعون لقراءة قوائم الشهداء التي تصل موقعنا يوميا وربما مرتين باليوم الواحد من أبي النعوش ليتأكدوا من خلوها من أسماء أهلهم وأقاربهم المنتشرين على جبهات القتال ، وحدث عدة مرات أن تعرف الكثير من الجنود على بعض هؤلاء الشهداء وانهاروا من البكاء والحزن ، استمر الموقف على ماهو عليه هكذا حتى بعد عشرين يوما بعد بداية القصف الجوي ، بعدها أطلقت الإجازات للجنود بنسبة 50% وكنتُ مستحقا إجازتي الشهرية الدورية عندما بدأ القصف فذهبت إلى أهلي في بغداد حيث وصلت بأعجوبة كبيرة تحت القصف الجوي ولم أستطيع العودة إلى وحدتي حتى انتهت الحرب بسبب القصف الجوي وانقطاع الجسور والطرق التي تربط البصرة بباقي أجزاء العراق...
عند التحاقي بوحدتي يوم 1991/3/15 إذ كان كل شيء قد انتهى وطرد الجيش العراقي من الكويت وحلت الكارثة به أثناء الانسحاب، وماحصل من انتفاضة في البصرة امتدت إلى أغلب مدن العراق؛ حدثني زملائي الجنود من الذين صمدوا وبقوا في الموقع عن الكثير من الأمور ومنها مصير السيد العميد ومركزه (مركز تسليم الشهداء في الدريهمية) فأخبروني بقصة مؤلمة تبدأ من هروب جميع جنود الشغل العشرة الذين كانوا بإمرته وبقائه لوحده بعد أن بدأت جثث الشهداء بالعشرات تستقدم إلى المركز منذ بداية القصف الجوي وبعد الهجوم البري ازداد العدد وانقطعت سبل إيصال الشهداء إلى أهاليهم بعد قطع الطرق والجسور ونفاذ وقود الديزل وعطل البرادات فقام من كان موجودا منهم بوضع الجثث في العراء في الساحة المقابلة للمركز وكانت

بحدود الثلاثمائة جثة حتى تفسخت بالكامل طيلة فترة الشهرين وفقدت معالمها ، أما مصير العميد آمر المركز فبقى صامدا لوحده في المركز حتى حدثت الانتفاضة ولم يعرف مصير أبي النعوش الذي تبخر وبقيت الجثث ملقاة في العراء وكانت تشكل مشكلة كبيرة في كيفية التعامل معها وما حل بها من مضاعفات ، وبعد أسبوعين من وقف الحرب تعاقدت قوات التحالف مع مجموعة عمال في المنطقة على دفن هذه الجثث في الأرض المجاورة للمركز بعد وضع أرقام وأسماء وحداتهم بقناني زجاجية في قبورهم لكي يتم التعرف عليهم لاحقا عندما يأتي ذووهم للبحث عنهم إذ يمكنهم أن يعيدوا الحفر ويستخرجوا جثثهم ويدفنوها من جديد حيث يشاؤون.

للأسف الكبير ،هكذا صدقت تحليلات السيد العميد (أبي النعوش) مجهول المصير، وهكذا هي النهاية المأساوية للجنود العراقيين البواسل..

الفصل الرابع
كاريزمات من الدريهمية

في كل مكان محدد وزمان معين تبرز وجوه كاريزمية متميزة تترك اثرها على مر التأريخ ومنها ماهو سلبي وإيجابي او تتصف بشيء من الطرافة وسآتي على خمس كاريزمات كانت موجودة وتعمل في موقع الدريهمية أثناء غزو الكويت وما بعدها وحتى حرب تحريرها وهم:

أبو أنور:

نائب ضابط مسلكي مخضرم خمسيني العمر جنوبي مستبعث ويدّعي بأنه يتفانى من أجل حزب البعث ويعمل مسؤولا عن أمن موقع الدريهمية ، منافق درجة اولى ومرتش بشكل علني وسافر يدّعي أنه يفهم كل شيء وهو بالتأكيد لم ينه الابتدائية ، عندما تأزمت الأوضاع العامة بعد الغزو وتعالت التهديدات من دول التحالف وعلى رأسها أميركا بدأت حمى وهستيريا لتدريب جنود الموقع بالرغم من عملهم في مواقع إدارية خلفية، وكانوا يؤكدون على التدريب ضد السلاح الكيمياوي والغازات السامة حينها صدر امر للجنود والمراتب أن يتمنطقوا بقناع الحرب الكيمياوية خلال ساعات اليوم وكل من ينزع هذا القناع يعرض نفسه للسجن سبعة أيام واصبح التدريب اليومي للجنود ساعتين للتدريب على لبس ونزع القناع والوقاية من غاز الخردل والاعصاب وهكذا ، ثم بدأوا يعملون أنذارات وهمية يطلقون أجراس التنبيه في الموقع وخاصة عندما بدأت الحرب وأصبحنا تحت القصف الجوي الشرس ليعوّدوا الجنود على لبس الأقنعة واستعمالها حتى أصبح هذا الموضوع عملا سهلا وبديهيا . وفي يوم من الايام قرعت اجراس الإنذار من ضربة كيمياوية محتملة وكنا في ساحة التدريب والجميع اخرج قناعه وارتداه إلا صاحبنا المغوار أبا أنور ارتبك ولم يستطيع أن يفك أشرطته ليرتديه ولانه شعر بأن هناك فعلا ضربة كيمياوية حقيقية والجميع ارتدى الأقنعة بيسر وفشل في ارتدائه فصرخ خائفا صرخة لا تزال ترن في أذني وبشكل هستيري (ولكم ما أكدر) وبأعلى صوته كأن الموت أحاط به من كل الجهات وانهار كبرياؤه أمام الجنود وهو المدعي بانه البطل الصنديد الذي لا يشق له غبار فهرع الجميع إليه وتعاونوا وبسرعة البرق ساعدناه على ارتداء القناع بشكل اصولي ... وبعد أقل من نصف دقيقة أعلنت اجراس الإنذار عن ان الإنذار وهمي للتجربة ... فاستغرق الجميع يضحك بأعلى صوته ساخرين من هذا البطل المزيف والذي ظهر على حقيقته عند أول مواجهة . بعدها لم يضع أبوأنور عينه بعين أي جندي في الموقع خجلا مما حصل له.

هادي جولة:

نائب عريف انضباط عشريني العمر يعمل على باب آمر الموقع كمراسل متطوع لنقل كل صغيرة أو كبيرة للآمر تحصل في الموقع ، منافق من الدرجة الأولى وواش قل نظيره بحيث يقول للآمر أنت عندما تذهب في إجازتك أنا ابقى في الموقع لأن لا يجوز ان نترك الموقع نحن الاثنين ويجب ان يبقى دائما أحدنا لكي نتأكد أن الموقع مراقب .!

وفي يوم من الأيام ذهب هادي جولة في إجازته الاعتيادية وعاد منها حيث اوصلته سيارة الأجرة عند فتحة غير نظامية من سياج الموقع يستخدمها الجنود للخروج أو التهرب من الموقع لكي يزوروا أهلهم في مدينة الزبير الملاصقة للموقع فصادف أن يكون خروج اثنين من الجنود فتحة السياج بنفس وقت وصول ونزول هادي من التكسي الذي أوصله للموقع عندها شاهدهم هادي فقررا أن يعودا إلى الموقع خوفا منه لأنه حتما سيشي بهم عند الآمر ويعرضهم للسجن والعقوبة ... فصرخ عليهم هادي جولة مناديا عليهم (ارجعوا يا شباب وروحوا إلى أهلكم لانني في جميع الأحوال سأبلغ السيد الآمر بهروبكم عبر السياج لانني لا استطيع إلا أن أخبره حتى ولو أنكم رجعتم للمعسكر لأنني لا استطيع أن أخبئ هذه المخالفة، مو بيدي ..!!!) .وهكذا كان هذا المنافق سببا في سجن وإيذاء كل جنود الموقع والكل يخشاه ويحتقره لنفاقه.

وحيد:

جندي مكلف يعمل في مطبخ المراتب يبدو عليه من النظرة الأولى البلادة والغباء خاصة وتقاطيع جسمه عبارة عن برميل أو زق ريح عافاكم الله وهو ايضا غير نظيف ويرتدي في الموقع والمطبخ الذي يعمل فيه نعالا مقطوعا كل فردة لا تشبه الثانية . في أحد الأيام وبعد الغزو ذهب الى آمر الموقع وتوسل به أن يأخذه معه إلى الكويت في المأمورية القادمة فوافق الآمر واخذه معه وبعد أن عادوا عصر نفس اليوم فإذا بنا نرى وحيدا وهو ينزل من خلف سيارة الآمر وهو يرتدي زيا غريبا عجيبا عبارة عن سترة حمراء اللون موشات باللون الاخضر عند الأردان والرقبة وفيها نياشين ملونة وأزرار ذهبية تبرق وتتدلى منها القاردونات الذهبية فاستغرب الجميع من هذا المنظر كأنه مهرج سيرك الذي ظهر به وحيد بعد عودته من الكويت فانفجر الجميع من الضحك ساخرين من وحيد الطباخ (الزق) فتجمعنا حول وحيد نسأله : ما هذا الذي ترتديه ؟ فأجابنا الجنود الذين رافقوه أن واجبهم كان في قصر أمير الكويت وذهب الآمر لإنجاز واجبه مع القيادات التي احتلت القصر وبقى وحيد يتجول في غرف القصر ولأنه لم يجد شيئا يستفيد منه أو يصلح لأن يرتديه أو يكون مناسبا لمقاسه وجد هذه السترة معلقة في إحدى الغرف وهي تعود لقائد الجوق الموسيقي الأميري ويبدو أن هذا القائد كان زقا أيضا، وبنفس قياس وحيد. والمضحك ان وحيدا بقى مرتديا السترة طيلة احتلال العراق للكويت باعتبارها سترة عسكرية متميزة غنمها من قصر الأمير شخصيا.

يونس:

شاب عشريني مجنون رسمي يتكلم من أنفه ويحسن ترتيل (الفراكيات) وغناء المناقب النبوية تم سوقه لخدمة الاحتياط بعد غزو الكويت لأنه لم يتم استثناء أي جندي من خدمة الاحتياط، وصل إلى الموقع ليبقى به فقط حتى يقضي أيامه كأقرانه من الجنود . الملفت للانتباه أن يونس يجلس يوميا مقابل باب الآمر في الموقع ويبدأ بسبه وشتمه ويغني الفراكيات (وهو نوع من الغناء يغنى على الموتى) ويدعي عليه بالموت وبصوت مرتفع، في الأيام الأولى كان الآمر يغضب منه ويأمر بحبسه و تأكد أنه مجنون فعلي ورسمي حتى نصحه بعض الضباط بأن يهمله وتوطدت علاقته بيونس فصار الآمر يستدعي يونس عند المساء وعندما يفرغ من العمل ويطلب منه أن يغني له فراكيات ويوصيه بأن يكون مؤدبا ولا يتجاوز عليه لقاء صحن من يقايا طعام الآمر يطعم به يونس فيبدأ بالترتيل والغريب أنه كان يرتل بصوت جميل حتى تأتي إليه النوبة الجنونية فينقلب رأسا على عقب ويبدأ بالسب والشتم وهجاء الآمر عندها يطرده ليدور بعدها على الجنود ليعطفوا عليه . وما أن بدأ القصف الجوي والأصوات العالية المرعبة حتى جن جنون يونس وفي الوقت الذي كان الجنود يختبئون في مواضعهم عند الغارات ليحتموا بها كان يونس يجري في الموقع طولا وعرضا وهو يصرخ ولا نفهم ما يريد أو يقول حتى يسقط مغشيا عليه والزبد يملأ فمه !!! وتغير حاله فكنا نحاول – نحن الجنود – أن نبقيه بقربنا عند حصول غارات ونطلب منه أن يغني لنا فراكيات لكي ننسيه الأصوات المدوية للقصف فيبدأ بالغناء والجميع يردون عليه بطريقة (الونة) وهكذا تمكنا من السيطرة عليه.

أبو حيدر:

نائب ضابط كاتب مسلكي خمسيني مخضرم عمل لأكثر من خمس وثلاثين سنة يدير تجنيد الحلة وأحال نفسه قبل الغزو بستة أشهر على التقاعد وبدأ يفكر بعمل مشروع بسيط ليعيش منه ويساعده على مشاق الحياة يساعد راتبه التقاعدي ، كان رجلا طيبا ووقورا وهادئا ، أعيد للخدمة العسكرية بعد غزو الكويت مباشرة وتم تنسيبه إلى موقع الدريهمية ليعمل في مقر الموقع وكان مهموما طيلة الوقت ويلعن الحظ الذي أعاده إلى الجيش لأنه طيلة خدمته بالجيش لم يخدم إلا في تجنيد الحلة وكما أخبرني شخصيا ، وهو موسوعة بقضايا التجنيد وحساب الخدمة العسكرية وقاموس لتفسير كل الأحكام والتعليمات العسكرية ، تقرب مني كثيرا وكان يلازمني بالرغم من فارق السن بيني وبينه وكنا نستمع للأخبار من مذياعي الصغير ونحللها وما سنراه في قادم الأيام !!؟.

وعندما صدر أمر تسريحنا أنا وهو بعد توقف الحرب البرية بأمر من قوات التحالف في اتفاق الخيمة واستلمنا كتب تسريحنا وكنا فرحين على سلامتنا وتسريحنا وصادف أن يكون نهاية نيسان 1991 منتصف شهر رمضان وهو صائم فكان يصلي بشكل دائم كل فرض بوقته وعند عودتنا إلى بغداد من البصرة بسيارتي التي

أوصلها لي أحد أقاربي وعندما وصلنا بقرب مدينة شيخ سعد التي تقع على منتصف الطريق إلى بغداد حان وقت الفطور فطلب مني أن أقف ليصلي ويتناول الماء وطعام الإفطار البسيط الذي يحمله معه وبعد أن انتهى التفت إلى السيارة فوجد قطعتين من الخبز (الصمون) العسكري الذي كنا نتناوله في موقع الدريهمية ويتناوله الجندي العراق الباسل الذي يريد منه صدام ان يحارب وينتصر ليزهو هو وبطانته فكسر قطعة الخبز لأنه يعرف ما بها فظهر لبها أخضر اللون مسودا وفيها حبات من الشعير بشكل واضح فقال : ماهذا يا أخي ؟ وهو يحمل الخبزة بيده، فقلت له : أخذتها ليشاهدها أولادي وأهلي، وأريهم ماذا كنا ناكل نحن في الجيش ليس إلا، وكنموذج لاحتقار الجندي وذله، فقال لي : انت تعرف أنني رجل مؤمن وأصلي جميع الفرائض ونحن الآن راجعون بالسلامة لعوائلنا، وهذه التي في يدي يقال عنها ويسميها المؤمنون (نعمة الله) فإذا كانت هذه الخبزة هي هكذا، وكما يقال، فاسمح لي أن أكفر بكل القيم والمبادئ التي تعتبر هذا الخبز نعمة الله فقام وهو يكمل حديثه برمي الخبز بعيدا عنا وقال هل تريد أن تزعج وتؤلم عائلتك وأهلك عندما تريهم أنك كنت تأكل فضلات الطيور والحيوانات !!!!

الفصل الخامس

يقول نابليون بونابرت (الجيوش تزحف وتقاتل على بطونها) ، والمعنى هنا واضح أي لايمكن ان يحارب الجيش وينتصر إلا إذا كان شبعانا، مملوءة بطون جنوده. لما اشتدت تهديدات الولايات المتحدة وقوى التحالف للعراق بعد أن غزا صدام الكويت وحولها الى المحافظة التاسعة عشرة، وارتفعت طبول الحرب استنفر صدام الشعب العراقي واستدعى كل الرجال في سن الاحتياط للخدمة العسكرية، وجند من هم أكبر من هذا السن الى الجيش الشعبي واستدعى كل وجبات الضباط الذين هم خارج الخدمة وحتى المتقاعدين استعدادا للمواجهة (المصيرية) القادمة . بالتأكيد ان نشر مثل هذه الأعداد تحتاج الى إمدادات لوجستية عظيمة، وشبكة طرق ووسائل نقل ومنظومة إدارية لإيصال الطعام والشراب الى أبعد جندي في جبهات القتال، التي امتدت من الفاو في العراق شرقا وامتدادا على حدود الكويت، من جزيرة بوبيان المطلة على الخليج العربي وحتى بداية الحدود السعودية في اقصى جنوب الكويت، قرب مدينة الخفجي السعودية؛ لتتحول جبهة القتال الى الحدود الكويتية السعودية في الصحراء امتدادا الى الحدود السعودية العراقية عند حفر الباطن في صحراء الناصرية ثم صحراء السماوة ليواجه أكثر من مليون جندي أمريكي ومن دول التحالف ،والأهم من ذلك كله ان هذه الجبهة تفتقد الى شبكة الطرق المعبدة التي تساعد الجيش في تقديم هذه الخدمات اللوجستية .

إن من استشارهم صدام للدخول في هذه الورطة ليسوا من العسكريين المحترفين ومن الدارسين في الأكاديميات العسكرية بل هم من الرداحين المنافقين الذين يستشيرهم وهم لايخالفونه في الرأي مهما قال او تحدث . لقد قص علي صديق لي وهو أقارب أحد الضباط القادة الكبار المحترفين الأركان خريج أكاديمية (سانت هيرس) العسكرية البريطانية كيف ان صدام – وقبل ان تبدأ حرب تحرير الكويت بثلاثة أشهر – قد كلف هذا القائد بأن يستطلع جبهات القتال والجيوش المتجحفلة على جبهات القتال ويقدم تقريره الى صدام، وبعد ان دار على الجبهات وعاد الى بغداد قدم التقرير الى صدام وقرأه له وكان يتحدث عن انتشار القطعات العراقية وطرق الإمدادات والخدمات اللوجستية وغير ذلك من الأمور العسكرية التي شاهدها شخصيا بعينه وقيمها فكان صدام كله أذن صاغية يستمع اليه بدون ان ينطق ببنت شفة حتى انتهى هذا الضابط الكبير وكان التقرير ينتقد الوضع المزري جدا بالجبهات وانتشار الجيش وطريقة وضع الدفاعات وكل الأمور اللوجستية والاتصالات فيقول صاحبي ان هذا القائد ترك صدام متجهما وعلامات الغضب تتطاير من عينيه ولكنه كان صامتا لايتكلم وخرج القائد من الاجتماع حتى بلغ في اليوم التالي صباحا بالهاتف بأنه عين سفيرا للعراق في إحدى الدول الأوربية وعليه ان يلتحق بأسرع ما يمكن !!!!!؟ .

قبل ان تبدأ الحرب بشهر تقريبا فوجئنا برتل طويل من الشاحنات الكبيرة وهي محملة بصناديق كونكريتية يبلغ حجم كل صندوق حجم غرفة متوسطة، وقامت هذه الشاحنات وعدد من الرافعات الثقيلة المرافقة بإنزال هذه الغرف الكونكريتية بجانب موقعنا (موقع الدريهمية) في العراء، واستمرت هذه الشاحنات بتفريغ حمولتها حتى أصبح عدد الغرف بحدود الخمسمائة غرفة، وعند سؤالنا واستفسارنا عنها أُخبرنا ان هذه الغرف هي خزانات

ماء صنعت خصيصا في معامل الدولة للبناء الجاهز لكي توزع على وحدات الجيش؛ لتدفن بالرمال في جبهات القتال في الصحراء كي يوفروا الماء للجنود، وليضمنوا عدم تلوث الماء – ان حصلت ضربة كيمياوية او كتلوية وانها وضعت بشكل مؤقت بالقرب من موقعنا حتى تأتي هذه الوحدات وتستلم هذه المخازنن وتنقلها بالقرب من مواقعها وتدفنها بالرمال، وتملأها بالماء ليضمنوا للجيش عدم العطش، وتسارعت الأيام لتقع واقعة الحرب ولم ينقل ولا مخزن من هذه المخازن الى جبهات القتال، وبقيت مكشوفة بالقرب من مقرنا إلا عددا قليلا منها تم نقله عندما حصلت الضربة الجوية فأخذوا البعض منها لا لخزن الماء بل لكي يعملوا منها ملاجئ للضباط والقيادات بعد ان يزيدوا تحصينها ، وليذهب الجندي الى الجحيم وكنا نتسائل ماذا شرب الجندي وهو تحت القصف الجوي المريع وهو في الصحراء خلال أربعين يوما وأكثر؟ .

خلال الأيام العشرين التي قضيتها ونحن تحت القصف الجوي في الموقع كنا متعبين من العمل في إدارة الموقع لأننا كنا نستلم مواقف الوحدات في الجبهات ونعيد إرسالها الى القيادات العامة وفي أحد الأيام وبعد استراحة الظهيرة والكل مستلق على سريره في غرفتنا البسيطة دخل علينا ضابط برتبة مقدم وكان يحمل بيده مجموعة أوراق ويبدو انها مواقف وحدته في الكويت وعلى ما أتذكر كان (كدس عتاد) فكان في حالة يرثى له ويبدو عليه التعب والإعياء وكان ذقنه طويلا فسألني متى ستعودون للعمل في الإدارة فقلت له خلال ساعة لان الآن عندنا استراحة وسنعود بعد القيلولة وقلت له ان باستطاعته الجلوس على كرسي موضوع بقرب طاولة في غرفتنا فجلس وأنا بين الصحو والنوم وكنت أختلس النظر اليه فانتبهت عليه وهو يقوم بتفتيت لب (صمونة) عسكرية متيبسة متروكة على المنضدة ويأكله وكان مستمرا بحركته هذه فنهضت من سريري وهو ينظر الي وفتحت خزانة صغيرة لي كان فيها بيضتين وقطعة خبز وقليتها وهو يراقبني وكان هناك ابريق مملوء بالشاي المعتق قمت بتسخينه ثم وضعت هذا الطعام البسيط أمام المقدم على الطاولة وقلت له (تفضل كل، سيدي) فرد علي بخجل متشكرا مني لأنني عرفت انه جائع وبعد ان أكل هذا الطعام وشرب قدح الشاي تشكر مني كثيرا وقال لي (والله العظيم لم أذق طعم الأكل منذ صباح الأمس) بعدها دار حديث بيننا فاخبرني انه لم يصل الطعام الى الجبهات منذ أيام، وان وصل فهو قليل جدا ورديء، وهو ضابط وآمر وحدة عسكرية مهمة؛ فماذا يأكل الجنود ؟ لقد أخبرني متألما : (هربوا جميعا، ولذا تراني أنا أجلب المواقف لكم بيدي)!!؟

هكذا جاع وعطش الجيش العراقي المسكين في هذه الحرب اللعينة، ورغم ذلك فقد صمد صمود الأبطال، وقاتل، واستشهد منه من استشهد، وأسر غيرهم، ومات الكثيرون متحصنين في مواقعهم؛ لولا قرار الانسحاب الذي لم يصدقه المقاتلون إذ تم تبيلغهم بإمكانية تقليد صوت صدام ودعوته للانسحاب؛ فكم هو عظيم جيش بطونه خاوية، ويصمد ويقاتل قتال الأبطال ؟ سؤال يحتاج الى حديث يطول ويطول .... ويطول .

الفصل السادس
ليلة ليلاء

بعد ان وصلت التهديدات ذروتها وكان الانذار الاخير قد حدد في 1991/3/15 لكي ينسحب صدام من الكويت وكان اللقاء الشهيرالذي حصل بين بيكر وزيرخارجية الولايات المتحدة وطارق عزيز وزير خارجية العراق في جنيف والذي سلمه رسالة من الرئيس الامريكي بوش الاب والذي رفض عزيز استلامها وبقيت الى يومنا هذا في صندوق امانات الفندق السويسري عندها ابلغه بيكر شفويا بان العرق سيعود الى عصر ماقبل الصناعة اذا لم يخرج من الكويت ثم نشطت وساطات ورحلات مكوكية كان ابرزها وساطة الحكومة السوفياتية بواسطة وزير خارجيتها بريما كوف وطارق عزيز وزير خارجية العراق ، لقد كانت الامور تتسارع باتجاه الحرب التي وضحت معالمها بعد ان تحشدت جيوش اكثر من ثلاثين دولة بمواجهة الحدود العراقية من جهة الحدود الكويتية البرية والبحرية وكانت خطط الهجوم يتم تسريبها اعلاميا كجزء من الحرب النفسية التي تهيء للهجوم الجوي والبري .

في المقابل كان الجيش العراقي يستعد للحرب التي تستهدف طرد العراقيين من الكويت بامكانياته المتوفرة، التي تُصنف مُتخلفة قياسا الى ما تحمله قوى التحالف من اسلحة وتكنولوجيا متطورة، كان قسم كبير من الإعلام العسكري العراقي يعتمد على بعض الخزعبلات غير المنطقية التي اطلقها صدام مستهينا بالطيران الامريكي ومنها كانت كلمته الغريبة عن الواقع والتي ليس لها تفسير إلا أنها كانت استهتارا بحق الجيش العراقي والعراقيين وهي (شنو خابصينا بطائرات الشبح ... صم تراب بيد اي راعي بالصحراء يرميها على عيون طائرات الشبح يعميها ولايخليها تشوف شيء ..!!!) .

نحن من جانبنا في موقع الدريهمية كنا نعيش في غرفة مستطيلة تتسع لعشرة اشخاص مبنية من البلوك ومسقفة بصفائح الحديد المغلون (جينكو) وبجوارها حمامات متواضعة لقضاء حاجاتنا، كنا نحن الجنود نتناوب على تنظيفها يوميا ، وكان بجوار غرفتنا هذه مقاطع خرسانية قوسية مرصوفة جنبا الى جنب لتشكل ملجأ قوسي وكانت مهملة ولا احد يفكر باستعمالها ، ولان موقعنا يوزع على وحدات الجيش اكياس الجوت التي تملأ بالرمل وتصف لتحصين المواضع القتالية؛ استطعنا الحصول على كمية جيدة من هذه الاكياس وبدأنا منذ بداية السنة الجديدة بالعمل على تحصين الملجأ القوسي المهجور الذي يقع بالجوار من غرفة معيشتنا، وكنا نعمل جميعا بهمة عالية بعد ان ننتهي من عملنا المكتبي ونملأ الاكياس بالرمل ونحصن الملجأ من جميع الجهات تحسبا لما سيحصل ، وقبل اسبوع من انتهاء مدة الانذار صدرت اوامر عسكرية تقضي بأن يحفر الجنود مواضع شقية بالارض لايتجاوز عرضها النصف متر لكي يلجأ اليها الجندي عند القصف الجوي فيحمي نفسه ، فقمنا ايضا بحفر هذه الملاجئ الشقية بجوار غرفتنا .

لقد بدأت تتضح بوادر الحرب من الاخبار التي نستمع لها من الاذاعات الاجنبية حتى وصلت الامور ذروتها

قبل اسبوع من بداية الحرب وعندما استيقظنا صباح احد الايام وجدنا جميع الاتصالات الارضية واللاسلكية قد قطعت نهائيا، فصدر امر عسكري بان يستخدم الجيش (السُعاة) جمع ساعٍ، اي الافراد بنقل البريد العسكري، ويمكن استخدام الدراجات الهوائية لذلك !!! ، حتى اقترينا من موعد انتهاء مدة الانذار بثلاثة ايام أُطفِئَتْ شعلة معمل البتروكيمياويات المقابلة لنا التي كانت تنير ليالي الدريهمية ، عندها تأكدنا ان الحرب قادمة لامحالة، وعزز ذلك ان صدر أمر عسكري بأيقاف كافة الاجازات الاعتيادية للجنود والمراتب في الجيش العراقي .

ان الوضع النفسي للجنود بدأ يتدهور شيئا فشيئا خاصة بعد ان انتهت مدة الانذار وبعد انقطاع الاتصالات التي كانت بين الجنود وأهاليهم وما تخبئه الايام القادمة من مفاجآت للعراق والعراقيين !!؟؟؟ . فكانت ليلة 16- 17 / 1 وكان الجميع بانتظار ما سيحصل ؟؟ لقد كان الجميع متوترين ونحن نبحث بمذياعنا لنستمع بآخر الاخبار، حتى كانت الساعة الثانية عشرة ليلا فتحول الجميع الى بركان من القلق والخوف والهستيريا وبدؤوا يتشاجرون فيما بينهم ويسمع بعضهم البعض كلمات خشنة فوقفت بينهم لعلي استطيع ان اهدئ من روعهم واطمئنهم فقلت لهم انا اعتقد ان كل الذي نسمعه الان هو مجرد اكاذيب وحرب نفسية واعتقد ان الامور ستحل وينسحب الجيش بعد كل هذا الضغط الهائل على العراق ولمصلحته وقلت جملة عابرة (اخواني اطمئنوا ناموا رغد وليس هناك اي حرب او شيء من هذا القبيل) فكان لكلمتي هذه موقع السحر عليهم وكانهم كانوا ينتظرون ان يقولها احد لهم فاستغرقوا جميعا بنوم عميق غريب
ما أن حانت الساعة الثالثة إلا ثلثا بعد منتصف الليل حتى قفز الجميع من افرشتهم مذعورين على صوت القصف الجوي المريع الهائل وبدأ الكل يصرخ (غارات ... قصف) وركض الجمع متجها الى الملجأ الكونكريتي القوسي ، أما انا فحينما قفزت من فراشي التوت قدمي وسقطت ارضا بسبب مفاجأة الصدمة وشعرت بألم فضيع في كاحلي قدرت انه تمزق في المفصل لانه تورم بالحال فأجمعت قواي وذهبت الى الملجأ وانا اعرج فتلقفني زملائي الجنود ومددوني فكنت (ربما) من اوائل المصابين في تلك الحرب اللعينة !! . الحال المؤسف والمؤلم الذي كان عليه زملائي من هول الصدمة انهم انتابتهم نوبة(اسهال شديدة) جراء خروجهم المفاجئ من جو دافئ إلى أجواء البرد في لبة الشتاء، وتأثير الاصوات المرعبة، بحيث كانوا يسارعون للذهاب الى الحمامات المجاورة التي لم تسع الجميع حتى صاح احدهم : ليذهب الاخرون الى الفضاءات المجاورة، بالرغم من خطورة موقفهم وظهورهم مكشوفة للعراء . لقد كان الالم في قدمي فضيعا انتابني فساعدني احد الجنود وجلب لي دواء مخففا للآلام احتفظ به للطوارئ فاخذت الدواء وكان مسكنا لي واستطعت ان اتحمل الالم حتى الصباح وبعد ان استقر الجميع في هذا الملجأ وجلسنا نرقب اصوات الغارات والطائرات التفت اليَّ الجميع ينظرون ساخرين، يخفون ضحكاتهم بابتسامات خبيثة، ويقولون لي (ها ناموا رغد..مووو) فبالرغم من هول الموقف الا ان الجميع انفجروا من الضحك لكوني شعرت بالخجل امامهم وكأني كذبت عليهم وانا اتألم من قدمي وبعد قليل كان ردي لهم إذ قلت : (لولا قولي هذا لكانت الحرب قد بدأت بينكم من موقع

الدريهمية) !! فضحك الجميع... لكنني بصراحة شعرت بالخجل من الجميع .

لقد ابلت قطعات الحرس الجمهوري بلاء حسنا والتي كانت متجحفلة على الحدود العراقية الكويتية مجاورة لموقعنا وكانت الغارات الجوية تركز ضرباتها الاولى على هذه القطعات؛ لكن دفاعاتها الجوية كانت تقاوم ببسالة لانظير لها فخلال اقل من عشر دقائق اسقطت هذه الدفاعات طائرتين امام انظارنا بعد ان استدرجوهما لان تقعا في مصيدة شبكة الدفاعات الجوية وتم التأكد من جثتي طيارين صباح اليوم التالي شاهدها جنود الحرس الجمهوري بين انقاض الطيارتين في الصحراء . استمر القصف الجوي حتى فجر اليوم التالي وهدأ لسويعات ليستأنف مرة اخرى، واستمر لأكثر من اربعين يوما حتى بداية الهجوم البري نهاية شباط 1991.

انها فعلا كانت ليلة مرعبة بكل معنى الكلمة واستحقت ان تكون ليلة ليلاء .

الفصل السابع
الرشقات الصاروخية

في 1989/8/28 نقلت بتأثير وشاية من بغداد الى لواء المشاة الثامن عشر الفرقة الثامنة عشرة المسماة قوات الحمزة والتي كان مقرها في البصرة وبالتحديد مملحة الفاو وبعد ان وصلت بمعية مأمور من الانضباط العسكري وبيده كتاب مختوم بالختم الاحمر صادر من مديرية الاستخبارات العسكرية يقضي بنقلي الى وحدتي الجديدة وجدنا ان الموجودين في مقر اللواء افراد من اداريات اللواء المتروكين في المقر فقط ، لان افواج اللواء الثلاثة ومعهم مغاوير اللواء قد خرجوا بواجب الى الناصرية وبالتحديد الى قاعدة علي بن ابي طالب الجوية فسلمني المأمور الى اداريات اللواء وانا منحت اجازة اربعة ايام لغرض الالتحاق بوحدتي في الناصرية وعدت مرة اخرى الى بغداد وبعد اربعة ايام سافرت الى الناصرية والتحقت بوحدتي المكلفة بواجب في قاعدة الامام علي بن ابي طالب وبعد ان ثبت التحاقي عند قلم اللواء لم اجد الا القليل من الجنود فسألتهم عن طبيعة الواجب في هذا المكان فقالوا لي جئنا نبحث عن صاروخ (العباس) الذي يزيد مداه عن الالف كيلومتر والذي اطلق تجريبيا من زاخو قبل اسبوع تقريبا ليصيب هدفه في الفاو لكنه انحرف وسقط في صحراء الناصرية الى الغرب من مدينة الناصرية وقد صدر امر بالبحث عن رأس الصاروخ الذي اخطأ هدفه بمئات الكيلومترات الى اقصى الجنوب الغربي والبحث جار عنه منذ ايام ولكنهم لم يجدوه واضطروا للاستعانة بلواء مشاة كامل ليبحث عن راس الصاروخ ويعيده الى التصنيع العسكري لمعرفة سبب الخطأ وكان الاختيار قد وقع على اللواء المشاة الثامن عشر وقد ذهب اللواء منذ خمسة ايام للبحث عنه ولحد ذلك اليوم لم يعد من مهمته وهناك اشاعة قد تناقلها الجنود ان اللواء تاه في الصحراء الكبيرة وقد ذهبت اليوم صباحا طائرات هليكوبتر تبحث عنهم والكل كان قلقا على اصدقائه فمر ذلك اليوم ثقيلا على اللواء ومن ترك في القاعدة تخوفا على الجنود المساكين وعند الغروب عادت طائرة من التي ذهبت للبحث محملة بجنود حالتهم الصحية سيئة للغاية ومصاب اغلبهم بضربة الشمس والجفاف والاعياء وكما يبدو انهم فعلا قد ضلوا الطريق في الصحراء ولم يجدوا رأس الصاروخ ، وفي اليوم التالي جاءت الاخبار المفرحة التي تؤكد ان الجنود قد وجدوا رأس الصاروخ بعد ان دلهم عليه احد الرعاة البدو من الذين يعيشون في البادية بعد ان مر الجيش بقربه وسألوه عما إذا كان قد شاهد شيئا قبل ايام فاجاب بانه شاهد كرة من النار سقطت باتجاه حدده للجيش وبعد ان اتجهوا الى ذلك المكان وجدوا فعلا رأس صاروخ العباس التائه عن هدفه فقاموا بتحميله باحدى الشاحنات العسكرية وجلبوه معهم الى القاعدة في اليوم التالي . لقد ضربت لكم مثلا هذا الحدث الذي عايشته بنفسي على هذه التجارب العبثية التي انهكت العراق وجيشه وميزانيته وهذا المثل ماهو الا واحد من آلاف الامثلة لاستنزاف ثروات العراق وتبجح قيادته آنذك بانه كان يملك قدرات ردع كبيرة ولديه اذرع طويلة وقاصمة تصل اينما يريد .

بعد ان استعر أوار الحرب بعد 1991/1/17 واستمر التحالف بدك الوحدات العسكرية البرية العراقية بعد ان حيدت القوة الجوية العراقية كليا منذ الساعات الاولى واصبحت السماء ملعبا تصول وتجول به طائرات التحالف استخدم صدام الورقة التالية بقيامه بحرق آبار النفط في حقل الرميلة المشترك بين العراق والكويت واشعل النيران بمئات الابار النفطية وحول سماء البصرة والكويت الى قطعة من الدخان الاسود لعله يحجب الرؤية عن طائرات التحالف لكي لاتستطيع ان تحدد مواقع الجيش العراقي !! فتحول نهار البصرة الى ليل دامس غير مبال بالجنود الذين وضعهم ليدافعوا عن الوطن بخطر استنشاقهم لهذا الدخان الذي نغص حياتهم . وما هي الا ايام وفي احدى ليالي الحرب الجوية ونحن كنا في ملجئنا القوسي المحصن في الدريهمية واذا بزلزال يضرب موقعنا بعد منتصف الليل ولو كانت هناك اجهزة رصد للزلازل لا ابالغ اذا قلت انه لايقل عن سبع او ثمان درجات على مقياس رختر لاننا سقطنا احدنا على الاخر وانقلبت كل اغراضنا واصبنا بصدمة كبيرة وبعد هذا الزلزال شعرنا ان شيئا قد انطلق وتوقفت الاهتزازات وبعد دقائق تكرر الزلزال وانطلق شيء آخر وتكرر الموضوع في تلك الليلة عشر مرات ونحن لانعرف ماالذي جرى . وفي صباح اليوم التالي صدر بيان عسكري سمعناه من الاذاعة يقول ان قوتنا الصاروخية قامت بقصف اسرائيل بعدد من الرشقات الصاروخية (أرض ... أرض) تم الاعتراف بتسعة وثلاثين صاروخا ضربت اسرائيل لاعلى التعيين كما انها ضربت ايضا اهدافا عسكرية امريكية وسعودية في المملكة العربية السعودية ، وتكررت الرشقات في الايام اللاحقة بمعدل لايقل عن عشرة صواريخ يوميا ويبدو ان بطاريات الصواريخ كانت تتسلل ليلا بالقرب من الحدود العراقية الكويتية لتضرب اسرائيل والسعودية ، عندها تبادر في ذهني سؤال محير بعد ان استذكرت قصة صاروخ العباس الذي تاه في صحراء الناصرية وانحرف عن هدفه لمئات الكيلومترات وذهب الجيش يبحث عنه حتى تم العثور عليه بعد اسبوع من البحث المضني وكانت ظروف اطلاقه أيسر وأريح لانها كانت تجربة وفرت لها كل الامكانات لكي يصيب هدفه ولم يصبه فكيف بعشرات الصواريخ التي اطلقت خلسة وفي الليل والسماء ملبدة بدخان آبار النفط المحترق وبظروف حرب وكانت السيادة الجوية للحلفاء... السؤال هو كم اصابت تلك الصواريخ اهدافها؟؟؟ .. وكم أخطأت ؟؟؟؟ سؤال لايعرف جوابه الا من راح ضحية تلك الصواريخ !!؟ وتلك المغامرة المدمرة !!؟

الفصل الثامن
نفق النار

بعد مرور عشرين يوما على بدأ القصف الجوي اي بتاريخ 1991/2/5 فتحت الاجازات الدورية للجنود والمراتب بنسبة 50% لمستحقيها والذين تأخرت اجازاتهم بسبب بدء الحرب ثلاثة اسابيع وانا كنت من ضمن تلك الوجبة فكنت بالحقيقة فرحا بحصولي على اجازة دورية لاربعة ايام فقط لكي ازور واطمئن على عائلتي واطمئنهم عني وانا مصاب بالتواء في قدمي لكنني بنفس الوقت كنت قلقا على كيفية الوصول الى بغداد بهذا الوضع المزري ونحن نستمع وتتوارد الينا الاخبار بان الجسور قد قصفت وقطعت شبكة الطرق التي تربط البصرة بباقي مدن العراق كما اننا علمنا ان هناك ازمة وقود خانقة حصلت بسبب قصف مصافي ومستودعات النفط وانقطاع الطرق ، مع ذلك فأنا مؤمن ان لاشيء مستحيل .

بعد انتهاء دوامنا الاعتيادي ذلك اليوم هيأت حقيبتي وطلبني آمر الموقع شخصيا وطلب مني ان آخذ معي يونس المجنون الى بغداد لانه دخل في نوبة هستيرية جنونية بسبب القصف الجوي وقال لي : اخبر اهله ان لايرجعوه الى الوحدة حتى تقف الحرب نهائيا وانا سوف لن انشر غيابه ، فأعطاني قسيمة الاجازة العائدة لي وليونس فخرجت ابحث عن يونس فوجدته في احدى زوايا ملاجيء الموقع واقنعته بان يأتي معي الى بغداد فأقتنع وفرح وشتم الآمر لانه سيتخلص منه وقال لي : ان شاء الله نرجع من الاجازة ونجده قد قتل بالقصف وسيرثيه بفراكية حلوة !!، ثم علمت ان وحيد الطباخ (الزق) ايضا استلم قسيمة اجازة ويريد ان يذهب الى بغداد فخرجنا نحن الثلاثة أنا ويونس المجنون ووحيد الزق لكي نصل الى الشارع العام الذي يربط الكويت بالبصرة والذي طوله بحدود عشرة كيلو مترات لكي نحاول ان نحصل على سيارة تقلنا الى كراج النقل المركزي في البصرة والذي يسمى كراج ساحة سعد فكنا محظوظين بسيارة خرجت من موقعنا اوصلتنا بدقائق الى مفترق الشارع العام حيث انزلنا هناك لننتظر مرة ثانية لعلنا نحصل على سيارة تقلنا الى الكراج وماهي الا دقائق حتى حصلت غارة جوية ونحن نراقب الطائرات جاءت هذه المرة لتقصف مجمع البتروكيمياويات الذي يقع في الجانب الاخر من الشارع فصرخت على وحيد ان ينبطح على الارض خلف احدى الكتل الكونكريتية وكان يونس يمسك بيدي لكنه استطاع ان يفلتها ويركض باتجاه الشارع وبدأ يصرخ بهستيريا وانا اصرخ عليه واناديه وكانت دقائق محرجة جدا حتى انتهت الغارة وقصف المجمع واشتعلت النيران بجزء منه وتعالى الدخان وركضت على يونس وسيطرت عليه وفي تلك الاثناء جاءت سيارة عسكرية بأتجاه البصرة فوقفت لنا وطلب منا ان نصعد معه لانه انتبه على يونس وحالته غير الطبيعية واراد ان يساعدنا فتشكرت منه وقلت له اننا نريد ان نصل الى ساحة سعد فقال سانزلكم هناك لانني ذاهب الى مدينة البصرة فهدأ يونس وكان وحيد ملتزما الصمت بسبب خوفه الذي كتمه بصدره !! .

وصلنا ساحة سعد وهي الكراج المركزي لنقل المسافرين فوجدناها مليئة بالجنود الذين حصلوا على اجازة ويريدون السفر الى بغداد وباقي المدن العراقية ولكن لاتوجد في الكراج اية سيارة ومن اي نوع ويمكنك ان ترى

الحيرة والوجوم مسيطرا على الجميع ولايعرفون ما يفعلون وجئنا نحن الثلاثة لكي نزيد هؤلاء الجنود عددا وحيرة !! .

كما قلت انني أؤمن ان لاشيء مستحيل وان لكل انسان قوة خفية حارسة له ربما ترسخ هذا الاعتقاد بعد ما صادفنا من مواقف حرجة وصعبة ربما أتت من الثقة العالية بالنفس ومن نقاء السريرة التي يملكها الانسان ، ونحن كنا لانعرف ماذا نتصرف خاصة وان المغرب بدا يطوي السماء وكان خوفنا من حصول غارة جوية على الكراج فستكون كارثة بمعنى الكلمة عندما يباد الآلاف من الجنود بكل بساطة !! فاذا بسيارة صالون من نوع (ميتسوبيشي) يقودها رجل مدني ويجلس آخر في المقعد الامامي تدور من الجهة الثانية من الشارع وتاتي لتقف امامنا مباشرة وكأنه اختارنا اختيارا من بين آلاف الجنود الذين ينتظرون اي سيارة لتقلهم الى اي مكان وكلمنى من خلال نافذة السيارة (وين تروحون) فقلت له (بغداد) فقال (لاانا رايح للنجف) فقلت له (روح الى بغداد وبعدين للنجف) فقال (اريد ان اوصل صديقي) وهو يومئ الى الرجل الجالس بجانبه (الى النجف اولا) فقلت له(ماشي نوصل صديقك ثم توصلنا الى بغداد) فقال (كم تعطيني ... 250 دينار انتم الثلاثة) فقلت له (هذا كثير) فقال (اشتريت بانزين من الزبير بسعر غالي جدا) كنت اتحدث معه وفي هذا الاثناء تجمع على السيارة اكثر من خمسين جنديا يحاولون ازاحتنا والصعود معه فوافقت وقلت له سادفع لك ما تريد وكنت في ذلك الوقت لااحمل في جيبي الا 150 دينارا، فصعدنا الثلاثة وانطلقت باتجاه الطريق السريع الذي يربط البصرة بالناصرية فسالته لماذا سلكت هذا الطريق اجابني بان لاطريق سالك الا هذا الطريق ثم اردفت عليه لماذا نشم رائحة البنزين قال انه ملأ الصندوق باوعية بلاستيكية من البانزين لانه يريد ان يعود الى البصرة بعد ان يوصلنا الى بغداد ويعرف ان لايوجد وقود في بغداد ، لقد كان يسير بدون ان يضيء مصابيح السيارة وكنت اتخيل السيارة عبارة عن خزان وقود متحرك يسير بطريق مظلم ولا نعرف ما ينتظرنا من مفاجآت وساد الصمت في السيارة بعد ان انطلقت على الطريق الاستراتيجي السريع الذي كان متضررا من جراء القصف وكان يقود بحذر بسبب هذه المطبات والحفر التي ملأت الطريق وكان يونس المجنون صامتا ويجلس بيني وبين وحيد الذي كان صامتا ايضا طول الوقت .

فجأة رأينا انفسنا وسط نفق من النار اذ كانت المقاومات الارضية من يمين ويسار الشارع تطلق نيرانها باتجاه السماء بشكل مكثف فتحول الليل في تلك المنطقة الى نهار ، عندها بدأ صراخ يونس المجنون خائفا من الاصوات والانفجارات والقصف الجوي وما كان من سائقنا الا ان يستمر بالقيادة لانه اخبرني انه لو توقف عن القيادة فستصاب سيارتنا حتما وآمن طريقة هي الاستمرار بالمسير واستغرق الطريق اكثر من ساعتين ونحن نسير في هذا النفق والذي كان بسبب المقاومات الارضية للحرس الجمهوري المنتشرة على جانبي الطريق السريع لقد كانت مجازفة كبيرة عندها شعرت ان هناك قوة خفية تحرسنا ، اما يونس ولكي اهدئه من نوبته الجنونية طلبت منه ان يرتل لنا الفراكيات ويدأ بترتيلها وصوته يتهجد من الخوف وكنا نحن الثلاثة والسائق وصديقه نرد عليه (بالونين) وكأننا كنا نرثي انفسنا ونحن بهذا الحال .

وصلنا الى ضواحي الناصرية في منطقة تسمى (تل اللحم) وبعد ان شربنا الشاي في احدى المقاهي الشعبية وارتحنا قليلا استأنفنا رحلتنا المظلمة واصبحنا قريبين من معمل اسمنت الكوفة فاذا بغارة جوية تقصف المعمل ونحن على بعد امتار من المعمل فنجونا باعجوبة مرة اخرى وواصلنا المسير حتى وصلنا النجف الاشرف وانزلنا صديق السائق وانطلقنا باتجاه بغداد ونحن نسير بدون اية اضاءة وكنا نستمع الى الانفجارات والمقاومات الارضية ولكننا لانعرف اين هي حتى وصلنا الى ضواحي مدينة الحلة واذا بنا نرى من بعيد سيارات وشاحنات مشتعلة وسط الشارع وعندما اقترينا منها وجدنا جثثا ممددة على الشارع واهالي المنطقة يحاولون مساعدة اصحاب السيارات وبعض الجرحى ويحاولون اطفاء السيارات من النيران فطلبوا منا ان نخبر مركز الشرطة الذي يقع على بعد عشر دقائق من الحادث فاسرعنا اليهم واخبرناهم بالحادث وواصلنا باتجاه بغداد وعند وصولنا الى مدينة المحمودية انتبهت الى السائق فوجدت أن النعاس قد غلب عليه فتقصدت ان اكلمه لكي لايغفو؛ لكنه ازداد في نعاسه فقلت له نحن لم نمت في الحرب ولا الطريق الخطر ولانريد ان نموت بحادث سير وطلبت منه ان يقف وينزل من السيارة واعطيته ماء ليغسل وجهه ومسكت بيده وجريت معه وانا ماسك به ذهابا وايابا لمسافة ليست بعيدة عن سيارتنا وحاولت ان ابقيه مستيقظا وكانت الساعة بحدود الثانية بعد منتصف الليل وطوينا الطريق نسير باتجاه بغداد حتى وصلناها اخيرا فوجدناها مدينة تبكي من هول ماحصل لها ورأينا سيطرات الجيش متمركزين في المناطق الحساسة من بغداد الكرخ حتى عبرنا جسر الاحرار بعد ان مررنا قرب الاذاعة والتلفزيون في الصالحية ورأينا بناية الحكم المحلي مقصوفة وحطامها يملأ الشارع المحاذي حتى وصلنا الى ساحة النهضة وكراج السيارات فيها حيث نزل هناك وحيد بعد ان شكرني ودعا لي بصدق وقال انه سيذهب الى اهله في مدينة الثورة لان اهله يسكنون هناك كما انه مشتاق لكي يطمئن على حصانه الذي يرتزق من ورائه فهو يعمل بائعا للنفط عندما يعود في اجازة بعربة يجرها الحصان !!! وابقيت يونس معي وطلبت من السائق ان يوصلني الى مستشفى الكندي لانني كنت اعلم ان عائلتي واهلي قد غادروا بغداد طلبا للنجاة من الغارات الجوية عند بدء الحرب وذهبوا الى مدينة شهربان ولم يبق لي احد في بغداد الا اخي الدكتور جبار الحيدر وهو طبيب جراح اختصاص يعمل آنذك مديرا لمستشفى الكندي وصمد وبقى في المستشفى طيلة ايام الحرب حيث كان يعيش في المستشفى ليل نهار وارسل عائلته الى احدى مدن محافظة ديالى وبقى مستمرا في عمله بعد ان هرب من هرب من قيادات الوزارة الى المجهول !!!
.

عند وصولنا الى المستشفى طلبت من موظف الاستعلامات ان يوصلني الى اخي مدير المستشفى فقال لي قبل قليل فقط نام لانه كان يعمل في العمليات وهو تعبان فقلت له انا اخوه، ولانني طلبت من السائق ان ينتظرني عند باب المستشفى لكي استطيع ان اكمل مبلغ اجور السيارة الذي اتفقت معه عليه ، عندها صعدت الى غرفة اخي فوجدته في حالة صحو فاستقبلني بحرارة واخذت منه تكملة اجور السيارة وعدت الى السائق واعطيته حقه بعد ان طلب مني ان يبقى في كراج المستشفى لكي ينام في سيارته ليصحو باكرا ويعود الى

البصرة من جديد فشكرته وودعته وعدت الى غرفة اخي وكان يونس ينتظرني فحكيت الحكاية لاخي وامر بإعداد فراش لكلينا، انا ويونس ونمنا بعمق بسبب الخوف والتعب والارهاق وعند الصباح قمت بايصال يونس الى اهله في حي (الكريعات) .

الفصل التاسع
شهربان

لم يمر رعب على سكان بغداد في العصر الحديث كالرعب والخوف الذي شعروا به بعد بدء الضربة الجوية في يوم 1991/1/17 ، فقد اشيع قبل الحرب ان صدام سيبدأ بضربة استباقية لضرب اسرائيل بالسلاح الكيمياوي او البايولوجي والمسمى بالسلاح الكتلوي اذا ما بدأت قوى التحالف بضرب العراق لاجبارها على طرد العراق من الكويت وتحولت هذه الاشاعات الى يقين ثابت بحتمية الضربة الكتلوية لاسرائيل وفي هذه الحالة فقد حذرت اميركا وحلفائها بأنها ستضطر لضرب العراق بالسلاح النووي التكتيكي ، اي بقنبلة نووية صغيرة محدودة التاثير والحجم !!!؟ . لقد سيطر الرعب والهلع على العراقيين وخاصة سكان بغداد باعتبار ان قيادات الدولة والجيش العراقي تتمركز فيها .

لقد حكى لي اهلي كيف فر اهالي بغداد ومعهم اهلي في اليوم الثاني من الهجوم الجوي باتجاه مدينة بعقوبة لانها الاقرب إلى بغداد وربما لانها قريبة من الحدود الايرانية التي يسهل الدخول إليها من العراق في حال اشتداد الحرب ولكون محافظة ديالى هي محافظة زراعية وفيها مزارع وبساتين يمكن اللجوء اليها لاي طارئ !!؟ . لقد هرع اهالي بغداد صباح اليوم الثاني بسياراتهم على مختلف اشكالها واحجامها وتكدسوا فيها ومعهم ابسط مستلزمات العيش من افرشة واغطية وملابس ومواد غذائية وعدة بسيطة للطهو وكان الجو باردا واذا بهم يفاجئون بسيل هائل من السيارات تخرج من بغداد تتدفق على الشارع الرابط شمال شرقي بغداد بمحافظة ديالى وهو شارع بمسارين للذهاب والاياب يتسع كل مسار لثلاثة سيارات وطول هذا الشارع بين المدينتين لايزيد عن الخمسين كيلو مترا فتفاجأ الجميع بأن يمتلئ المساران والجوانب والجزرة الوسطية واكتاف الطريق من الجهتين اليمين واليسار بالسيارات المتجهة من بغداد الى ديالى وبالتاكيد انقطع الشارع القادم من ديالى لانه غص بالسيارات الذاهبة ولكي يصلوا الى مدينة بعقوبة استغرق الوقت أكثر من خمس ساعات في حين ان الطريق بالاوضاع الاعتيادية لايأخذ من السائق أكثر من خمسة واربعين دقيقة !! .

لقد اختار الناس مسبقا الى اين يذهبون لكي يعيشوا فارين من بغداد فمنهم من ذهب لاقاربه واصحابه واصدقائه وقسم كبير آخر استقبلهم اهالي ديالى في مدينة بعقوبة ومدن ومزارع المحافظة وكانت وقفة رائعة وجميلة من اهالي المحافظة سجلها لهم التاريخ كما فتحت المدارس وامتلأت صفوفها بالعوائل وفتحت المعامل والمخازن وشغلها أهالي بغداد الفارين ، اما اهلي وعائلتي فقد استقبلهم احد اقاربنا الذي كان يملك فرنا آليا للخبز كان قد اشتراه من الحكومة قبل سنوات ويقع هذا الفرن بضواحي مدينة بعقوبة واستوعب هذا الفرن الكبير عشرات العوائل وكان فيه الماء ومولدة كهرباء ووقودها الكافي لتشغيلها فبقى فيه اهلي وعائلتي خمسة ايام فقط وخرجوا من الفرن آملين الحصول على مكان افضل في احدى مدن محافظة ديالى فكان الاختيار مدينة شهربان (المقدادية) وعند وصولهم اليها وجدوها قد غصت بأهالي بغداد الناجين بأرواحهم بحيث لم يبق خرم فيها الا وقد سكنه الناس الوافدون وبصعوبة بالغة وجدوا غرفة في بيت بسيط مملوءة غرفه

باللاجئين يعيشون مع اصحاب البيت وعاشوا جميعهم في هذه الغرفة والتي لاتزيد مساحتها عن العشرين مترا مربعا وكان عددهم حوالي عشرة اشخاص !! استمروا على هذا الحال بحدود الثلاثة اسابيع .

عند وصولي الى بغداد عائدا من البصرة مجازا لمدة خمسة ايام وقضية ليلة عند وصولي عند اخي مدير مستشفى الكندي في بغداد ومعي يونس المجنون وكما قلت اوصلت في اليوم التالي يونس لاهله في حي الكريعات وبلغتهم بما اوصاني به آمر موقع الدريهمية بعدم التحاقه لحين انتهاء الحرب ، ذهبت الى بيتنا ووجدت سيارة زوجتي التي تركتها في بيتنا في بغداد واخذت هي سيارتي لانها اوسع واكبر . ذهبت الى شهربان لكي التحق بعائلتي واهلي هناك وبعد ان استدليت على مكان سكنهم لاني فوجئت بالناس الموجودين في المدينة ولانهم من بغداد فكان الكثير منهم يعرفني فوصلت الى اهلي بسهولة ، وبعد ان رأيت الحالة المزرية التي تعيش بها عائلتي وحالة والدتي المريضة ومعاناة والدي وزوجتي واولادي واختي واولادها ذعرت وقررت ان اجد حلا لهذا الموضوع بأي ثمن !؟.

في اليوم الثاني لوصولي الى شهربان بدأت ابحث عن سكن بديل لعائلتي لاخرجهم من هذه المحنة وكنت اسأل وادور على محلات العقارات في شهربان واسألهم عن بيت للايجار فكانوا يسخرون مني ويضحكون ويجيبونني بأن لم تبق مدرسة الا وملئت ولم يبق محل الا وشغل ولم تبق مزرعة او خربة الا وسكنت فكيف اطلب انا بيت للايجار لان طلبي يبدو كمعجزة فعرضت عليهم مبلغا خرافيا لاغريهم في الحصول على دار !!! واخبرتهم باني ساعود غدا بنفس الوقت لاجد الدار على شرط ان تبقى الدار بأثاثها وكل مستلزماتها وعلى صاحب الدار ان يخرج منها بملابسه فقط ويسلمني اياها وسادفع له مبلغا كبيرا جدا لايجار سنة واحدة وساترك الدار متى تنتهي الحرب ربما باسبوع او بشهر او بسنة !!، وعدت الى غرفتنا البائسة ولم اخبر عائلتي بما تصرفت به لكنني كنت متفائلا باني ساحصل على هذه الدار لانني عرضت عرضا يسيل له لعاب اي صاحب دار مهما كانت امكانياته المادية .

عند صباح اليوم التالي خرجت اسير باتجاه مكتب العقار واذا بي ارى صاحب المكتب قد جاء بالاتجاه المعاكس ويبدو انه يبحث عني ويدقق النظر في الوجوه في سوق المقدادية المزدحم لعله يجدني ففوجئ بي وجها لوجه وقال اين انت يارجل انا انتظرك منذ الصباح لانني وجدت لك بيتا يحتوي على خمس غرف وهو بيت كبير ومؤثث ويعود لاخي المحامي الذي اقنعته بان يؤجر لك الدار ويخرج هو وزوجته منه بملابسهم ويسلمك الدار الان وحتى بدون جرد لانني عرفت انك انسان معروف لان احد الجالسين امس في محلي هو صديقي من بغداد وتكلم عنك الكثير وقد عرفك وعرف والدك وعائلتك ، فذهبت معه الى مكتبه ووجدت اخاه جالسا واتفقت معه على شروطي وكان موافقا بدون اي اعتراض لانها كانت صفقة كبيرة ومربحة جدا له واخذني ليريني الدار فشاهدتها واطلعت عليها وعلى محتوياتها المتواضعة لكنه بيت كبير بعدد غرفه وحماماته ومرافقه فقلت له انتظرني في البيت وسارجع لك خلال ساعة واحدة بينما انتم تكونون قد حزمتم ملابسكم وأمتعتكم لترك الدار ولكي اسلمك المبلغ ونوقع على العقد بيننا ولكونه محاميا وافق فورا .

عدت الى اهلي وعائلتي واخبرتهم بان يجمعوا اغراضهم وحوائجهم لانني وجدت لهم دارا لكي يسكنوا بها فسخروا مني لكنني اقسمت لهم بانني فعلتها لاجلهم فنهض الجميع وكانوا غير مصدقين ما قلته لهم وظنوا انني امازحهم فاوصلتهم الى الدار وكان صاحبها وزوجته ينتظروننا ويحملون بيدهم حقيبة ملابس واحدة متوسطة الحجم فدخل اهلي الدار وطمأنا اصحابه بان الاغراض ستكون بمأمن وألا يخافوا عليها وذهبنا الى مكتب العقار وتكاتبنا على شروطي وسلمته المبلغ وهو غير مصدق انه استلم هذا المبلغ وعدت لاهلي وانا احمل العقد الذي اخفيته لكي لايطلعوا عليه لانهم سيوبخونني على ما فعلت وابقيت الامر سرا ، لكنني سعدت كثيرا عندما احتل افراد عائلتي غرف الدار وبدؤوا باستعمال حماماتها فرحين وهم غير مصدقين ، لقد كنت سعيدا جدا لانني انهيت معاناة اهلي وعائلتي ووالدي وبذلت مالي بسخاء لكي احقق لهم ذلك لكنني كنت في اشد حالات الحزن لانني كنت ارى اقارب لي واصدقاء ومعارفي من العراقيين يعيشون عيشة الذلة في جحور مدينة شهربان المتواضعة لانها كانت وما زالت اشبه بقرية بسيطة البناء والخدمات فليكن الله بعون العراقيين .

بعد ان تطمأنت على اهلي في اليوم التالي غادرت شهربان متوجها الى بغداد لكي التحق بوحدتي العسكرية في البصرة لانتهاء اجازتي وعند وصولي الى بغداد مررت للسلام على اخي في مستشفى الكندي الذي كان قد بعث زوجته واولاده الى ناحية بلدروز ليعيشوا بمزرعة هناك مع عائلة صديق قريب منه من اهالي المدينة ، ثم تركته وذهبت الى كراج النهضة لكي اسافر الى البصرة لالتحق بوحدتي ففوجئت باني وجدت الكراج خاليا من اية سيارة الى اي مدينة وكانت الغارات الجوية تتكرر كل عشر دقائق والخوف والذعر سيد الموقف فدهشت من هذا المنظر الغريب فسألت احد الاشخاص الذي وجدته في باب الكراج عن سيارات البصرة فاجابني ضاحكا هل انت غشيم عن اي سيارات تتكلم واي بصرة تريد ان تذهب لها قلت له لماذا انا جندي واريد

ان ارجع لكي التحق بوحدتي في البصرة فما الغريب بالموضوع ؟ فاجاب قائلا جميع الطرق والجسور المؤدية الى البصرة مقطوعة وقصفت وتقصف بالساعات ولم يبق اي منفذ للوصول الى البصرة كما ان البانزين والكازويل مفقود ولاتستطيع السيارات الحصول عليه ثم اريد ان اسألك وبدون ان تزعل (هل انت زايد على اهلك .....لان الجيش كله لم يلتحق بوحداته والجميع هرب وليس هناك اي شخص يعود الى وحدته فيا اخي انت مجبر ان تعود لاهلك لان الطايح رايح) فعدت الى مستشفى الكندي لاخبر اخي بالامر ثم عدت الى شهربان ففوجئ اهلي عندما عدت ووجدتهم جميعا قلقين وحزانى على عودتي الى البصرة لكنهم استبشروا وفرحوا كثيرا عندما عدت لهم واخبرتهم بما حصل بالرغم من شعوري بالقلق والتحسب لنتائج عدم التحاقي الذي يعد جريمة هروب قد اعاقب عليها بالاعدام !!، لكن الذي جعلني اطمئن هو الهروب الجماعي لاغلب الجيش العراقي !! .

لقد واصلنا العيش في شهربان لغاية 1991/3/5 وكنا تقريبا آخر البغداديين الذين غادروا شهربان عائدين الى بغداد وبعد ان حصل الهجوم البري نهاية شباط وقبول العراق وقف اطلاق النار وتوقيعه على ذلك في خيمة صفوان إذ مثل الجيش العراقي وفد عسكري برئاسة الفريق الركن سلطان هاشم والفريق صلاح عبود بعد ان اصيب رئيس اركان الجيش آنذك الفريق نزار الخزرجي في الناصرية ، عندها عاد الجيش العراقي وللاسف منكسرا ذليلا دفع ثمن حماقات قادته الذين فروا من الكويت عند اول شعورهم بالانكسار، وحينها تركنا دار شهربان الذي استأجرناه لمدة سنة وبمبلغ خيالي لعشرين يوما فقط فسلمناه لاصحابه بعد ان شعر صاحبه بالخجل لاننا تركنا الدار ولم نطالبه باسترداد اي مبلغ !!

الفصل العاشر
عود حميد

عندما عُدتُ مع عائلتي من شهربان الى بغداد بتاريخ 5/ 3/ 1991 كان وقف اطلاق النار قد مضت عليه ايام معدودة وكان الانسحاب غير المنظم للقوات العراقية من الكويت سببا اساسيا بسحق الجيش العراقي وخاصة قوات الحرس الجمهوري التي غادرت الكويت لكنها وقعت وسط فخ نصب لها عند مشارف الحدود بين الكويت والعراق فتم تدمير اهم قطعات الجيش العراقي آنذك وراح ضحية هذا الفخ عشرات الالوف من الجيش العراقي ، اما باقي افراد الجيش فقد أُسر من أُسر منهم ومن استطاعوا ان يفلتوا عاد معظمهم سيرا على الاقدام الى داخل الحدود العراقية ، وهنا ساقص عليكم حادثتين طريفتين تظهران الضحك على جيش جرار غرر به ودفع به لحرب لاناقة له فيها ولاجمل، سيق الى الهلاك والموت سوق البهائم(جلكم الله) الى حتفها؛ والاستهتار بمقدراته، ومبكيتين لان مئات الآلاف من شباب العراق الذي لاذنب لهم قتلوا او تعوقوا او فقدوا اشباعا لنزوات طائشة لحكام ابتلى بهم العراق وشعبه لعقود من الزمن : الحادثة الاولى هي عندما بدأ الهجوم البري نهاية شباط 1991 صدرت بيانات القيادة العامة للقوات المسلحة العراقية وهي تبشر العراقيين ببدء الهجوم البري من قبل قوات التحالف على الجيش العراقي إذ كانت القيادة تتوعد الحلفاء بانها ستوقع بجيوشهم الدمار والموت ان بدأت المعارك البرية وادعت ان الحلفاء يخشون المواجهة البرية فكان احد بيانات القيادة العراقية يهلل ويبشر ويقول : (هل تعلم ايها الشعب العراقي العظيم من هم الذين يتصدون لقوات التحالف المعتدية ؟ انها قوات الحمزة البطلة التي تنزل ضرباتها الماحقة بالعدو .... اضربيهم .. دمريهم ياقوات الحمزة ...لقنيهم الدروس التي لن ينسوها .. لاترحميهم ...) ولو تعرف عزيزي القارئ من هي قوات الحمزة ؟؟ انها الوحدة العسكرية التي نُقلت منها الى موقع الدريهمية وهي عبارة عن لواء مشاة /18 يحتوي على ثلاثة افواج وسرية مغاوير وهذا اللواء قد دُمر واعيد تشكيله في الحرب العراقية الايرانية اكثر من عشرين مرة !!! ولايملك من الاسلحة الا اسلحة خفيفة قديمة هرئة صدئة كان منتسبو هذا اللواء يسخرون من اسلحتهم التي لاتصلح لواجبات الحراسة الليلية العادية !! فكيف سيلقن هذا اللواء البائس قوات التحالف الدروس لكي لاتنساها هذه القوات ..!!؟ ، اما القصة الثانية التي رواها لي احد اصدقائي الجنود الذي ابقاه قدره في قوات الحمزة (البطلة) والتي كانت تتموضع في الصحراء على الحدود الكويتية السعودية في حفر الباطن وهي التي تلقت اول ضربات قوات التحالف عند بدء الحرب البرية فقال : لقد كنا نعيش بمواضع حفرت برمال الصحراء ودعمت باكياس الرمل وكان الطعام والماء يصلنا بالصدفة وكل الجنود جائعين وعطاشى في اغلب الوقت والخوف والرعب يلازمنا وقبل ايام من الهجوم البري تم جلب مدفع ثقيل اريد له ان يكون بالقرب من موضعنا لكن الارض الرملية لم تسمح لان يكون بالقرب منا تماما اي وضع على بعد مئة متر من موضعنا وفي اليوم ماقبل الهجوم البري تم نصب مروحة كبيرة مصنعة خصيصا في التصنيع العسكري اطلقوا عليها (دافعة الغبار) طلبوا منا تشغيلها باتجاه العدو لكي يضعفوا إمكانية الرؤية ويشوشوا على تقدم العدو !!

والذي حصل عندما بدأ الهجوم البري جاءت اوامر بقصف نقاط معينة بالمدفع الذي وضعوه بقربنا وعندما استعد جنود واعداد المدفع لواجبهم لم يرمِ المدفع لانهم اكتشفوا ان (الابرة) التي تفجر القذيفة مكسورة !!! وبعد ان بدأ الهجوم البري وحاولنا تشغيل دافعة الهواء فوجئنا ان طائرات الهليكوبتر الامريكية كانت فوقنا ونحن بوسط عاصفة من الرمال بسبب مراوحها وهم ينادون علينا من مكبرات الصوت بان نخرج من مواضعنا رافعين ايدينا بدون اي سلاح ونسير باتجاه السعودية لمسافة طويلة حتى وصلنا الى معسكر مؤقت لتجميع الاسرى، ثم تم نقلنا الى معسكرات داخل السعودية بقينا بها لايام ثم تم اطلاق سراحنا بواسطة الصليب الاحمر الذي اوصلنا الى المدن التي نسكن بها في العراق !!! .

لقد كنا نسمع من الجنود العائدين من الكويت قصصا عجيبة غريبة يمكن ان تستوعبها مجلدات من الكتب وكان كل جندي عبارة عن قصة وملحمة هائلة من المعلومات وكانوا يخبروننا بان البصرة والمحافظات والمدن الجنوبية قد سقطت على يد الشعب العراقي المنتفض على حكامه بعد ان عاد الجنود مشيا على الاقدام من الكويت وقام احدهم باطلاق النار على احدى صور صدام في البصرة فهاج وماج الشعب والجيش وتم اسقاط الحكومات المحلية في المحافظات الجنوبية واحتلال المباني الرسمية بعد فرار من تمكن من الفرار، وقتل من وقعت عليه الأيدي من اعضاء الحزب والاجهزة الامنية ، ونهبت دوائر الدولة وحرق معظمها وتواردت انباء عن دخول ايرانيين الى محافظات الجنوب وربما اعداد من الاحزاب الدينية التي تحتضنها ايران والذين يسمون بالتوابين (اسرى الحرب العراقية الايرانية الذين تم تنظيمهم وتدريبهم في ايران وتغذيتهم بالفكر الديني المعادي للبعث وصدام)وبدأت تتساقط المحافظات واحدة تلو الاخرى كل ذلك حصل خلال ايام معدودة قليلة وبدا ان صدام أخذ يفقد السيطرة على العراق وامتد العصيان المسلح الى محافظات الوسط والشمال ثم هاج الشعب وماج في الجزء الشرقي من بغداد وفجأة انقلب الموقف رأسا على عقب فبدأت قوات الحرس الجمهوري تطهر محافظات الوسط والجنوب وحصلت مواجهة دموية في مدينة الثورة بعد ان خرجت تظاهرة كبيرة يتصدرها الاطفال والنساء وتم اطلاق النار عليها من قبل الحرس الجمهوري وكان الاستهداف في مناطق القتل في الراس والصدر وبقيت الجثث ملقاة في شوارع المدينة لساعات طويلة لايتجرأ اهاليهم على سحبهم من الشارع !! لقد اعطت قوات التحالف الضوء الاخضر لطيران صدام (الهليكوبترات) لقمع الانتفاضة التي حصلت في مدن العراق فمكنه من ذلك وبقدرة عالية ما ارادت اميركا والتحالف وكان الثمن انهارا من الدم !!؟. كانت اتفاقات خيمة صفوان التي وقع فيها العراق على الاستسلام امام قادة قوات التحالف وكان الفريق الركن سلطان هاشم والفريق الركن صلاح عبود هم من وقع على الاتفاقات المذلة للاستسلام والتي لم تنشر بنودها لكن ما تسرب منها هو تسريح الجيش العراقي وتغيير قياداته وعلى شكل مراحل وكان الامر ان يتسرح كل جنود الاحتياط من هم مواليد 1960 فما دون بنهاية شهر آذار 1991 ويعني هذا انني قد شملت بامر التسريح ، كذلك صدر امر بالعفو عن الجنود والمراتب الهاربين من الخدمة العسكرية والالتحاق بوحداتهم العسكرية في موعد لايتجاوز 3/15 عندها قررت انا الالتحاق بهذا التاريخ لكي اتمكن من التسريح نهاية

آذار حتى تنتهي المعاناة بالرغم من توارد الاخبار عن الاضطرابات في المحافظات الجنوبية .

في يوم 1991/3/15 انطلقت متوجها الى البصرة بسيارتي الخاصة بعد ان تدبرت شراء كمية من البانزين تكفيني للوصول للبصرة والعودة منها وبالرغم من معرفتي بان الجسور والطرق مقطوعة وكان يرافقني اخي الكبير وابن اختي وهو ايضا جندي وحدته في مدينة القرنة واحد اقاربي من اهالي البصرة ، انطلقنا من بغداد الساعة السابعة صباحا وكانت بغداد شبه مهجورة ولا ترى فيها اي علامة لوجود دولة اذ لاشرطة ولاجيش ولا مرور !!! وكانت قبل يوم ليلة ماطرة بشكل غير اعتيادي بحيث ان انفاق شوارع بغداد قد امتلئت بمياه الامطار وكانت الطريق حتى مدينة الكوت شبه خالية من السيارات وبعدها فوجئنا ان جميع صور صدام الجدارية في الطرقات بعد مدينة الكوت قد اتلفت ومزقت او احرقت حتى وصلنا مشارف مدينة العمارة عند منتصف النهار فوجدنا مدينة العمارة وكانها ساحة حرب حقيقية وتحاصرها قوات الحرس الجمهوري وكانت للتو قد انتهت من قصفها بالمدفعية الثقيلة لاننا شاهدنا عند مدخلها الشمالي المدافع واطقمها وبقايا القذائف المدفعية متناثرة حول المدافع فتوقفنا مستفسرين منهم بامكانية الدخول الى مدينة العمارة فاجابونا نعم يمكنكم لاننا انتهينا قبل قليل من تطهيرها من (الغوغاء) فواصلنا السير للدخول الى وسط المدينة وقد رعبنا مما شاهدنا من مناظر فالابنية والبيوت على جانبي الشارع كانت مهدمة كليا وجزئيا وقد خرج الناس من مخابئهم وهم يحاولون لملمة ما تبقى من بيوتهم لكن الافضع اننا انتبهنا الى وسط الشارع فرأينا اعدادا كثيرة من الجثث البشرية وقد تمرغت بالوحل وهي متناثرة على قارعة الطريق فكان منظرا مؤلما وغريبا فحاولنا جهد الامكان ان نسرع حتى وصلنا الى تقاطع مدخل المدينة فوجدنا الاسلحة والاعتدة منثورة بدون حساب في الشوارع حتى الدبابات المعطوبة كانت منتشرة في كل مكان ووجدنا بقايا صور وجداريات صدام مشوهة ومحروقة ، فتركنا مدينة العمارة وانطلقنا الى البصرة وكانت السيطرات العسكرية على الشارع العام منصوبة بين مسافة واخرى وكانوا يتحققون من الوثائق والهويات حتى وصلنا الى مدينة الدير ثم القرنة فلم نستطع ان نعبر على الجسور التي توصلنا الى البصرة لانها مدمرة لكننا عبرنا على جسور عسكرية نصبت بشكل عاجل وطارئ لتمكن الجيش العراقي المنسحب من عبور النهر ثم التوجه الى بغداد وكانت قوافل الجيش المنسحب طويلة فاستغرق عبور كل نهر حوالي الساعتين اضافة لخطورة هذا العبور عبر التيار المائي الهائج ثم استدلينا على الوحدة العسكرية لابن اختي في القرنة على الشارع العام فنزل اخي لوحده ليتاكد من الاوضاع هل هي ملائمة لكي يسلم ابن اختي لوحدته وماهي الا دقائق حتى عاد فاوما لنا برأسه وطلب مني ان اسرع بالتحرك من المكان وبعد الاستفسار منه اخبرني بانهم يقومون باركاب كل الجنود الملتحقين بشاحنات عسكرية وياخذونهم الى الحدود العراقية الايرانية لانه لايزال هناك قتال بين الجيش والمتسللين الايرانيين والجيش لازال يطاردهم وهو بحاجة لجنود ليتحولوا الى حطب لهذه النيران المشتعلة !! فوصلنا مدخل مدينة البصرة حوالي الساعة الخامسة والنصف مساء فلم يسمحوا لنا بدخول البصرة من قبل السيطرة العسكرية المرابطة هناك وبعد الحديث معهم سالني احد الضباط وكان برتبة نقيب عن مكان وجهتي التي جئت منها

فقلت له انا جئت من بغداد فقال لي انت تضحك علينا اي بغداد التي تتكلم عنها فاقسمت له انني من بغداد فاجاب ان بغداد قد سقطت وليس لديهم اي اخبارمنها لان الاتصالات جميعها مقطوعة وحتى الاذاعة العراقية لاتسمع بالبصرة فاعدت عليه قسمي وقلت له اني جئت من بغداد وهذا البنزين الذي في السيارة اشتريته امس من مدينة الثورة فقال لي مندهشا نحن نعلم ان الدولة قد سقطت ولاتوجد حكومة !!! فاكدت له اقوالي فسالني عن وحدتي العسكرية فقلت له انا في موقع الدريهمية فقال اذهب واي سيطرة تسالك قل لهم نقيب فلان يسمح لي بالمرور واوصاني ان ابقى اسير وسط الشارع المعبد ولا انزل على اكتافه خوفا من الالغام والقذائف غير المنفجرة فانزلت قريبي في مدخل البصرة ليذهب الى بيته وانطلقت مسرعا الى الدريهمية وكانت الشمس قد اغربت والليل بدا ينشر عباءته فوصلنا الى موقع الدريهمية بعد سفرة محفوفة بالمخاطر والمجازفات فوجدت الآمر وبعض الضباط جالسين امام المقر وبعد ان سلمت عليهم وقصصت عليهم كيف جئت من بغداد استغرب الجميع لان الاشاعات التي وصلتهم تؤكد ان الحكومة في بغداد قد سقطت !!، وبعد ان عرفتهم باخي وابن اختي رحبو بهم واستضافوهم بالبهوا لكي يباتوا ليلتهم ويعودوا الى بغداد في اليوم التالي، اما انا فجريت الى اصدقائي الجنود ووجدت اغلبهم موجودا فاحتضنني الجميع وقدموا لي التهاني بسلامة الوصول وكان عودا حميدا لي.

الفصل الحادي عشر
الزراعة لكسر الحصار

لم يشهد مجلس الامن الدولي في تاريخه ان اتخذ سلسلة قرارات تصل الى خمسة عشر قرارا خلال ايام قليلة جدا لفرض حصار على دولة عضو في الامم المتحدة مثل القرارات التي اتخذت ضد العراق بعد اجتياحه للكويت في 2/ 8/ 1990 فقد فرضت قرارات عقوبات الامم المتحدة حصارا قاسيا على العراق بعد ايام من احتلاله الكويت واستمر مجلس الامن الدولي يصدر قراراته بتكبيل العراق اقتصاديا وعسكريا وسياسيا وكانت جميع هذه القرارات تحت الفصل السابع من لوائح مجلس الامن وقوانين الامم المتحدة الذي يبيح للمجتمع الدولي فرض هذه القرارات على العراق بالقوة وان اقتضى الموضوع التدخل العسكري اي بمعنى آخر ان العراق اصبح ناقص السيادة والاهلية ويشكل خطرا على السلام والامن والاستقرار الدولي، ومع ان الكويت قد نهبت كل مخازنها الاستراتيجية من المواد الغذائية والاولية وعلى جميع المستويات خلال الشهر الاول للاحتلال الا ان هذه المواد المنهوبة لم تسد حاجة العراق الا لاشهر قليلة فقط ؛ فظهرت للعيان شحة بالمواد الغذائية والادوية والمواد الاولية من كافة الانواع والاشكال، وما زاد الطين بلة ان عملية استنفار الشعب العراقي للالتحاق بالجيش على مستوى الخدمة العسكرية الالزامية وخدمة الاحتياط ابتداء من مواليد 1950 نزولا حتى مواليد 1972 اضافة الى استنفار من هم اكبر من هذه التولدات لتجنيدهم بقواطع الجيش الشعبي التي جمعوها بالترهيب والاجبار ليكونوا قوة اضافية ساندة تساعد الجيش النظامي للحرب المتوقعة القادمة التي اسماها صدام (ام المعارك) ضد قوى التحالف التي قررت طرد العراق من الكويت بالقوة بعد ان فشلت كل الوساطات ، ما ادى الى تعطل الحياة الاقتصادية بالكامل في العراق فقد ترك الموظف وظيفته والعامل مصنعه والمعلم مدرسته والفلاح مزرعته وارضه والكاسب عمله وتحول الشعب الى جيش له اول وليس له آخر وغدا بأجمعه عددا كبيرا معتمدا على خبرة قتالية سابقة اكتسبها من الحرب العراقية الايرانية لثماني سنوات مدمرة واستعداد عسكري ضعيف .

ولسد حاجة العراق من الغذاء الذي بدأ يتناقص تفتق العقل الصدامي لدعم البطاقة التموينية وتوفير اساسيات سلة الغذاء الرئيسية من حبوب وبقوليات أصدر قرارا رئاسيا في نهاية ايلول 1990 يقضي بان يُسرح كافة الجنود من خدمة الاحتياط من الذين يملكون اراض زراعية مساحة كل منها لاتقل عن خمسة دونمات لكي يزرعوها بالحنطة او الشعير او اية مادة بقولية ووضعت التعليمات التفصيلية لهذا الموضوع ، فكنت من المشمولين بهذا القرار لانني املك ارضا زراعية مناصفة مع اخي في منطقة الراشدية / بغداد مساحتها عشرون دونما ويمكنني زراعتها باي منتج زراعي مطلوب فباشرت على الفور باجراء المعاملة اللازمة للتسريح واستصدرت هوية من الجمعيات الفلاحية في منطقة الراشدية التي تقع فيها الارض ثبت فيها صورة لي بالملابس العسكرية لا أزال احتفظ بها الى اليوم وباشرت بزراعتها بمساعدة الفلاح المقيم بالارض هو وعائلته واذكر اني هيئتها لزراعة الباقلاء لان الارض وطبيعتها ملائمة لزراعة هذا النوع من النبات بعد ان

هيَّأت الارض بحراثتها وأمنت مصدر المياه واشتريت البذور الجيدة لكي لاافشل بالزراعة واحاسب على هذا الفشل لانها كانت بالفعل فرصة ذهبية للتخلص من معاناة العسكرية ومشاكلها وكان مثلي الآلاف قد استفادوا من هذه الفرصة الذهبية والكل زرع ماهو مطلوب منه؛ وبعد اكثر من سبعين يوما اي نهاية شهر كانون الاول 1990 وبعد أن كان الزرع قد نبت وكبر وتأكدت الدولة انه اصبح بأمان وان الحرب اقتربت ولابد للجميع ان يعود لحمل السلاح؛ صدر قرار يقضي بعودة جميع الجنود المتسرحين المشمولين بزراعة الاراضي الزراعية الى وحداتهم التي تسرحوا منها فورا !!!. فخاب ظن الجميع ويافرحة لم تدم الا سبعين يوما فقط فعدنا نجر اذيال الخيبة الى وحداتنا وكأن كابوس العسكرية والحرب اصبح قدرنا الذي كتب علينا !!؟ ، هنا بدأ الجميع يتسائل كيف لحكومة لها سيادتها وكيانها تكذب وتلهو وتلعب مع شعبها بهذه الطريقة الاحتيالية ؟؟ كيف تريد هذه الحكومة ان يحترمها شعبها ؟؟ كيف يثق الشعب بحكومة تحتال على شعبها بهذه الطريقة ؟؟ .

بالرغم من كل الاجراءات التي اتخذتها الحكومة كما ادعت لتوفير اللقمة النظيفة لشعبها الا انها فشلت في توفيرها ولم تستطيع كسر الحصار الجائر على الشعب العراقي فقد كانت توزع ضمن الحصة التموينية طحينا اسود لايعرف مصدره ومحتوياته لكن من كان يطلع على ما يطحن في مطاحن الدولة هو الذي يجيب بعد ان هاله ما رأى فانهم كانوا يطحنون كل شيء صلب يمكن ان يزيد كمية الطحين والذي كان لايصلح ان يكون علفا للحيوان ما كان السبب لاحقا لكل امراض السرطان والجهاز الهضمي لمعظم العراقيين المساكين لالسبب الا ارضاء لنزوات من كانوا يحكمون ويتحكمون بمصائر شعوبهم بشكل جنوني متهور لا يقيم وزنا لإرادة الشعب وليس لكلمة الشعب عندهم اي اعتبار اما الحزب الحاكم فلم يكن الا مجرد مجموعة من الإمعات الذين ينفذون ما يؤمرون به بغض النظر عما إن كانوا به مقتنعين أو غير مقتنعين ومن يُبدي أي اعتراض أو تلكؤ فمصيره معروف، إما رصاصة في الرأس أو طعم للكلاب او يذاب في حامض النتريك دون ان يعلم به أحد؛ تلك كانت ثمرة دكتاتورية بغيضة صنعها الانتهازيون والمطبلون، وصفق لها الإمبرياليون الذين انقلبوا عليها فيما بعد!!!؟.

الفصل الثاني عشر
ما وعد به الشيخ سعد

لايختلف اثنان من المراقبين على ان العراق هو من اعتدى على دولة الكويت عندما غزاها وهذا الفعل يعتبر نتيجة لسلسلة من الاسباب التي تتحملها جميع الاطراف العراقية والكويتية والاقليمية والدولية فقد كانت النتيجة حرب الخليج الاولى او ربما الثانية اذا وضعنا بالحسبان (حرب العراق وايران) التي كان لابد منها !! فقد اجتمعت الاسباب العديدة لاندلاع هذه الحرب كنتيجة لاجتياح العراق للكويت وهنا لسنا بصدد الدخول في تفاصيل هذه الاسباب لكن ما يهمنا هو كيف دفع العراق دفعا لاجتياح الكويت ثم بحجة طرد العراق منه وكيف رسمت خطة (عاصفة الصحراء) لتدمير آلة العراق العسكرية التي طالما تباهى بها صدام حسين بعد حرب السنوات الثمانية بين العراق وايران والتي ادعى فيها انه انتصر على ايران، والتي لم يكسب منها الطرفان الا موت مئات الآف من شباب البلدين وتحطيم اكبر قوتين اقليميتين بالمنطقة بعد ان قدر لهما ان يقوده في العراق دكتاتور قومي فاشي وفي ايران حكومة يقودها معممون جهلة طائفيون ثيوقراطيون يبحثون عن ارث فارس بين ثنايا التاريخ !! .

قبل سنوات تم اذاعة برنامج خاص بمناسبة اجتياح العراق للكويت وكانت المقابلة مع الشيخ سعد العبدالله الصباح ولي عهد الكويت آنذك وقد تكلم بصراحة متناهية عن الظروف التي سبقت اجتياح الكويت والوساطات بين العراق والكويت في السعودية والتي جرت بين الشيخ سعد الصباح ولي عهد الكويت الاسبق وعزة الدوري نائب الرئيس العراقي السابق وكيف كانت السعودية تتوسط بكل همة لتقليص فجوة الخلاف بين العراق والكويت والتي تتركزعلى ما يدعيه العراق ان الكويت سحبت كميات من النفط من حقول الرميلة المشتركة بين البلدين تقدر قيمتها آنذك بمليارين وخمسمائة مليون دولار وهذا المبلغ طالب به العراق الكويت واتهمها بسرقة هذا النفط من حقول عراقية بعد ان طالبه الكويت بدفع مبالغ فواتير شراء اسلحة للعراق اثناء الحرب العراقية الايرانية إذ كان صدام يدعي بانه يقاتل (الفرس المجوس) نيابة عن الامة العربية لان العراق هو حارس البوابة الشرقية للوطن العربي !!؟ وان من العيب ان تقوم الكويت وباقي دول الخليج بالمطالبة بتسديد مبالغ الدين ، كذلك فان صدام اتهم هذه الدول وعلى راسها الكويت بتعمد تخفيض اسعار النفط بقيامه باغراق السوق النفطي بكميات فائضة ادت لاحقا الى هبوط اسعار النفط عالميا في الوقت الذي كان العراق بحاجة الى موارد اكبر لتسديد فواتير حربه التي انتهت قبل اقل من سنتين فقط .

قال الشيخ سعد الصباح لقد كنا نجلس انا وعزت الدوري والوسيط السعودي لساعات طويلة يوميا ونتناقش بكل نقاط الخلاف ولايام عديدة ولكن عزت كان يتهرب من الوصول الى اي حل او طريق يصلنا الى اتفاق لحل الخلافات وكان يصر على انه ليس صاحب قرار عندما يفحم بالمناقشة وكان يتعمد اطالة هذا النقاش العقيم والجدل البيزنطي ولايريد ان يصل الى نهاية له وبعد ان نتعب من الكلام نعود الى اجنحة الضيافة التي نقيم بها بنفس القصر فاقوم بالاتصال به لاطلب منه – بعد ان اخذنا قسطا من الراحة – ان نجلس انا وهو

فقط سوية في اي مكان بالقصر يختاره لكنه كان يجيبني بعصبية ويقول لي (ياخي انت بليتني بلوة .. آني راسي يوجعني وتعبان وماعندي كل كلام معك .. انا تعبان ما تفهم شنو تعبان .. اتركني !!) يقول هذا وهو ذاهب خصيصا كي يحل مشكلة عويصة مع شخص قد اختلف العراق مع دولته وربما سيدخل معها بازمة خطيرة !!!؟.

عند اشتداد الازمة بين العراق والكويت واندلاع الحرب الكلامية في وسائل الاعلام بين البلدين ظهر للتداول الرقم مليارين ونصف المليار دولار والذي كان احدى طلبات صدام على الكويت وهو قيمة النفط (المسروق) من نفط العراق !؟ .

سألني احد الجنود البسطاء العاملين معي في موقع الدريهمية عن هذا الرقم لانه لايتخيل كم هو هذا الرقم ليقدر اهميته ، فقال لي : (شكثر يعني هذا المبلغ المختلفين عليه بين العراق والكويت .. يكولون مليارين ونص.. يعني شكثر.. هواية ويسوة الطلابة عليه؟؟؟) فبالحقيقة احترت انا كيف اجيب على هذا السؤال لاقرب له حجم هذا المبلغ لكي اقنعه باسلوب يفهمه هو ولكنني اخيرا اجبته على سؤاله المحير وكنت اقف حينها بجانب شاحنة عسكرية من نوع (ايفا) فقلت له (شايف هذا اللوري .. تصور مائة لوري ايفا مملوءة بابو الخمسة وعشرين دينار اخضر ابو الحصان .. !!) فذهل وسكت في اول الامر ثم انفجر بالكلام مع اصراره وعلامات الغضب والزعل بادية على وجهه (لعد حقه العراق يحجي .. هذا المبلغ موكليل .. شلون يسكت صدام عليه.. حقه ولازم ياخذه ..!!) ،

لقد اتخذ صدام من هذه الاسباب – التي ظاهرها حق حسب قناعاته – حجة لكي يدخل الكويت لانه كان يبغي امورا اخرى في مخيلته ومنها انه سيسيطر على اكثر من 20% من احتياطي نفط العالم ناسيا اومتناسيا ان اميركا لن تسمح بهذا الشيء مطلقا وهذا يثبت ان حساباته كانت مغلوطة تماما .

عندما عدت الى وحدتي في موقع الدريهمية بعد وقف اطلاق النار بعد 1991/3/15 وكنت انتظر انجاز معاملة تسريحي نهاية آذار كنت استمع الى اذاعة الكويت التي عادت للبث من جديد بعد ان انقطعت خلال فترة الاحتلال ولان الاذاعات العراقية كانت مدمرة ولانستطيع الاستماع لها فكنا نضع مؤشر المذياع على اذاعة الكويت ومن الطريف ذكره انني استمعت الى برنامج يلتقي على الهواء مباشرة بالكويتيين ليسالهم عن مشاعرهم بعد تحرير الكويت والذي لفت انتباهي حينذك مقابلة مع سيدة كويتية تتكلم بالعامية قالت بعد ان سالها مقدم البرنامج : (شنو شعورك والكويت تحرر وطرد الجيش العراقي ؟؟؟) فاجابت (حنا فرحانين وايد وايد .. ونطلب من سمو الامير يوفرلنا فواكي لان نشفت بطونة لان صدام موتنة من اليوع صار ست اشهر وما اكلنا يومية غير طماطة وبيتنيان ... الله يظلمها عليه يوم الظلم علينا الكويت ويظلم كبر ابوه مثل ماظلمها علينا) وتقصد ان الكويتيين شملوا بالبطاقة التموينية التي كانت توزع على العراقيين آنذك كذلك هي كانت تشير الى ان صدام حرق ابار النفط الكويتية وحول نهارها الى ظلام دامس بسبب الدخان المتصاعد من الابار المحترقة. اما الشيء المهم جدا الذي سمعته بصوت الشيخ سعد الصباح ولي عهد الكويت شخصيا

وبعد وصوله الكويت قادما من السعودية بالطائرة بعد ايام من تحرير الكويت وبعد ان ركع على ارض المطار يشكر الله على عودته وتحرير بلده وعندما سال عن مشاعره بهذا الحدث الكبير قال (بعد الشكر لله ودول الحلفاء من الاشقاء والاصدقاء على مابذلوه لتحرير الكويت انه وباسم كل الكويتيين اقول ان لاخير بهم ككويتيين .. ولاخير باولادهم .. ولاخير باموالهم .. اذا يتركوا صدام حسين يتهنى بحكمه للعراق ويبقون يعملون ما حيوا حتى يسقطوه ويزيلوه من حكم العراق والمنطقة ويجعلوه هو والعراق يدفع الثمن غاليا حتى آخر يوم من عمرهم حتى وان اقتضى ذلك ان يبذلوا في سبيل ذلك آخر دينار يملكونه ..!!!؟). فهل صدقت نبوءة وتمنيات الشيخ سعد الصباح !!؟؟ وكم تحقق منها ..؟؟ وهل هناك شيء لم يتحقق بالرغم من ان الاثنين انتقلا إلى ذمة الخالق سبحانه... لكن العراق والعراقيين لايزالون يدفعون ثمن حماقات صدام للاسف، وتعنت وجشع حكام الكويت الطامعين بثروات العراق، الساعين لإذلاله لشعورهم بالتهديد الدائم، ومحاولات ضم الكويت للعراق في أي حين، فلا يرضيهم إلا عراق ضعيف منخور القوى، هزيل الطاقات ..ّ!!.

الفصل الثالث عشر
رشاوى للنواب الكويتيين

لقد وقع الشعبان العراقي والكويتي ضحية فساد حكومتي البلدين فلم تكن الدوافع السياسية والمصالح الحقيقية للبلدين هي سبب الخلافات لان ليس كل ما ينشر بالاعلام هو الصحيح وليس كل ما يقال هو الحقيقة لكونه في كلا البلدين موجها وليس حرا كما هو معروف وبدليل ان الشعبين لم يكونا مؤمنين بان ماينشر من خلافات على وسائل الاعلام لم يكن مطابقا للواقع .

لقد كانت مشكلة العراق مع الكويت مشكلة قديمة وليست جديدة فقد تعاقب الحكام على العراق وكانوا يتوارثون مشكلة الكويت وتحتل جزءا كبير من اجنداتهم وقد كتب عن هذا الموضوع الكثير من الاراء ، فقد اثار هذه القضية الملك غازي ثم نوري السعيد ثم عبد الكريم قاسم ثم بعثيو 8 شباط ثم صدام حسين وكان كل واحد من هؤلاء له اسبابه واجندته الخاصة لكي يفتح الموضوع ويتعامل مع الكويت على انه الجزء السليب !! ولا يمكن للحق ان يستقيم الا باعادة الكويت الى العراق وكانت العلاقات مع حكام الكويت تمر بحالات شد وارتخاء بين الطرفين ، ومن امثلة ذلك وقوف حكام الكويت خلف صدام لدفعه للحرب مع ايران ودورهم في حض معظم دول الخليج لمساعدة صدام بهذه الحرب الطاحنة التي استمرت لثماني سنوات مؤلمة دفع العراق زينة شبابه ليكونوا حطبا لها وارضاء لحكام الكويت والخليج (المال علينا والرجال عليكم) لوقف تهديدات ايران في تصدير الثورة الايرانية التي بشر بها الامام الخميني بعد توليه الحكم في ايران عام 1979 !!؟ .

لقد قص علي صديق لي (يرحمه الله) وهو مهندس زراعي من اهالي الموصل ادخل كلية الضباط الاحتياط وتدرج بالرتب العسكرية حتى وصل الى رتبة رائد احتياط خلال الحرب العراقية الايرانية وتوفي في اخر سنة منها بحادث سير على طريق الحلة وهو ذاهب للالتحاق بوحدته في المحاويل (مخازن الصواريخ ارض ارض) فقد قال : عندما اشتد اوار المنازلة والحرب والقصف المتبادل بين العراق وايران بصواريخ سكود (الحسين) وبعد سقوط الكثير من الصواريخ الايرانية على بيوت آمنة في بغداد !! استنفذ العراق ماموجود عنده من الصواريخ واصبح الرصيد في مخازنه صفرا وكانت لاتزال الحرب مستمرة وشرسة ، اتصل صدام بأمير الكويت وطلب منه ان يزود العراق بكمية جيدة من صواريخ سكود لان العراق كان يعلم ان الكويت يملك مائتين وخمسين صاروخا فوافق الامير جابر فورا على تزويد العراق بمائة صاروخ عندها ارسل العراق الشاحنات العسكرية المخصصة لنقل الصواريخ لجلبها وايداعها في مخازن الجيش العراقي في المحاويل وكان المرحوم صديقي يشرف على نقلها وخزنها ليلا ، ولكن سرعان ما نفذت هذه الصواريخ بعد فترة قصيرة ايضا لان الحرب كانت مستعرة فاتصل صدام مرة ثانية بالامير وطلب المزيد من الصواريخ عندها امر الشيخ جابر بتزويد العراق بخمسين صاروخا وتكرر هذا الموضوع عدة مرات حتى سحب العراق جميع صواريخ الكويت المائتين والخمسين !!؟ .

في احدى المرات أمر صدام بضرب ايران برشقة مكونة من عشرة صواريخ سكود مرة واحدة عقابا لها عندما حاول الايرانيون اثناء الحرب اغتيال الشيخ جابر امير الكويت إذ فشلت المحاولة حينها !!! . وهكذا كانت العلاقات في باقي الامور كالمثال اعلاه واكثر، ولنعط مثلا آخر : عندما قصف طيارو العراق جزيرة خرج الايرانية اثناء الحرب واستطاعوا ايقاف تصدير النفط منها وشلوا حركة الناقلات قام الشيخ جابر بإهداء مائتين وخمسين سيارة مارسيدس حجم 190 الى الطيارين العراقيين التي اشتهرت حينها عندما نزلت في شوارع بغداد والمدن العراقية وكان يشار لها بالبنان.

مقابل هذا السخاء الاميري كان العراق يعمل دائما على كسب الرأي العام الكويتي ويحاول ان يكسب اصحاب القرار السياسي في الكويت وخاصة اعضاء مجلس الامة الكويتي لكي يديم زخم العلاقات ويديم المصالح المشتركة بين البلدين فقد قام العراق برشوة كل اعضاء مجلس الامة الكويتي الخمسين وقدم لهم زوارق بحرية (يخوت) مصنعة بمواصفات خاصة لهم وقد صرف ثمن تلك الزوارق تحت بند آخر لكي لايفضح أمرها ، وهذا غيض من فيض على حسن العلاقات وادامتها وقد تكللت بعد انتهاء الحرب بمنح صدام حسين للشيخ جابر الصباح وسام الرافدين من الدرجة الاولى ولقبه (بالاميرالشجاع) امام الاعلام بعد ان قلد الشيخ جابر صدام حسين ارفع وسام كويتي . وبعد ذلك بزمن قليل سرعان ما تدهورت العلاقات بين الطرفين واطلق صدام اسم (قارون الكويت) على الشيخ جابر !!! بعد ان تعمدوا الاساءة الى العراقيين والعراقيات بحفلاتهم الرخيصة التي تقصدوا ان يسربوها الى الاعلام العام للاساءة الى الشعب العراقي ، أذن لم تكن بين البلدين علاقات استراتيجية حقيقية بل هي علاقات مصلحية زائفة سرعان ما تتغير بتغيير المصالح .

وهذا مثال طريف آخر على عدم قناعة الطرفين بما قيل ويقال عن عائدية الكويت للعراق وهذه السنوات الطويلة من العداء بين الطرفين : التقى نقيب الاطباء العراقيين (المرحوم الدكتور نايف الحسوني) بنقيب الاطباء الكويتي في احدى عواصم الدول العربية على هامش اجتماع اتحاد الاطباء العرب بعد حرب تحرير الكويت اذ كان من المفترض ان يكون الوفدان بحالة من العدائية والتوجس لكن وبسبب العلاقات القديمة المتجذرة بين النقابتين العراقية والكويتية ورفعة اخلاق النقيبين تجاوزا الخلاف بين الدولتين وكانا يتحاوران بشكل طبيعي واخوي وكان من المفروض ان تحصل انتخابات في الاتحاد لاختيار احدى الدول العربية لتكون مقرا للاتحاد فكان نقيب الاطباء الكويتيين يرغب بان يكون الكويت مقرا لاتحاد الاطباء العرب فجاء يطلب من المرحوم الدكتور نايف نقيب الاطباء العراقيين ان يصوت الى جانب الكويت لتكون مقرا للاتحاد متحججا بأنه اذا استضافت الكويت الاتحاد فهي مجرد سنوات قليلة ويرجع العراق يحتل الكويت وسيكون عندها الاتحاد في العراق بالنهاية !!!!.

الفصل الرابع عشر
عيد ميلاد صدام

هناك مثل صيني مشهور يقول (لاتأمن الافعى لانها بدون قرون؛ فسيأتي اليوم الذي تتحول فيه الى تنين !!) ، بعد ان تم التوقيع على وقف اطلاق النار بين العراق وقوات الحلفاء في خيمة صفوان وماجرى بعدها من تدمير لقوات الحرس الجمهوري المنسحبة بشكل غير منظم من الكويت وما تلاها من انفجار شعبي نتج عنه انتفاضة الشعب العراقي ضد صدام وسقوط خمس عشرة محافظة بيد المنتفضين وكانت قوات التحالف تتقدم باتجاه بغداد لاسقاط النظام حتى وصلت الى مشارف مدينة الديوانية اي على بعد تسعين كيلومترا من بغداد التي بدت خالية من اي قوة خاصة في جانب الرصافة والتي بدت خالية من كل مظاهر السلطة وانحسرت قوى السلطة في جزء من الكرخ وبالتحديد منطقة كرادة مريم !!؟ وهو موقع القصر الجمهوري وحماياته ، وفجأة انقلب الوضع العام مائة وثمانين درجة وبدأت قوات الحرس الجمهوري بتطهير محافظات الجنوب متجهة الى بغداد مستخدمة طائرات الهليكوبتر وبقيادة اعضاء القيادة القطرية وقيادات الحرس الجمهوري واولاد صدام واقاربه ومقربيه وتوقف الرتل الصاعد الى بغداد والذي يقوده الجنرال الامريكي شوارسكوف قائد قوات التحالف وعاد ادراجه الى الكويت ليقدم استقالته بسبب تغيير الخطة المتفق عليها التي تقضي دخول بغداد واسقاط صدام حسين ونظامه !! .

في تلك الايام من شهر آذار 1991 انكمش نظام صدام حسين وضعف وفقد هيبته والشعب العراقي أخذ يستخف ويسخرمن قياداته التي ورطته بالكارثة التي اوقعته بها اذ امسى الشعب بلاماء ولا كهرباء ولا اتصالات ولا وقود بمختلف انواعه والإذاعة تسمع فقط في وسط بغداد لان كل شيء مخرب ومدمر والناس مشغولين بالبحث عن ابنائهم والتاكد من انهم بقوا احياء ام لحقوا ايضا بضحايا كارثة الحرب العراقية الايرانية ؟؟

في تلك الاثناء كانت الصحف الاربع اليومية تصدر بحجم صغير وصفحات قليلة ، لكن الملفت للانتباه ان صورة صدام حسين الكبيرة قد اختفت من الصفحة الاولى لهذه الصحف !! في اول اسبوعين بعد استتباب الامور نسبيا في بغداد وكانت المقالات المنشورة فيها تتسم بالهدوء والعقلانية وتدعوا الى ضرورة اعادة النظر بكل الامور لتستتب الحياة والبدء باعادة الاعمار وفتح صفحة جديدة .

بعد الاسبوع الاول من نيسان بدأت تظهر من جديد صورة صغيرة لصدام حسين في الصفحات الاولى للصحف الاربع (الجمهورية ، الثورة ، القادسية ، بابل) واغلبها كانت صورا لنشاطاته وليست شخصية . ثم بدأت هذه الصورة تكبر شيئا فشيئا لتعود بعد ستة اسابيع الى حجمها الاول قبل الحرب وتغيرت اللغة التي كانت تكتب فيها مقالاتها وتحولت من لغة التهدئة الى لغة الاتهام والتآمر والعنف وأخذ الثأر ومعاقبة المتمردين وما الى ذلك لكن بعد ذلك بدأت بعدها سلسلة من المقالات اليومية تنشر باحدى هذه الصحف وتتكلم عن سكان جنوب العراق (الشروك) وكانت المقالات تتهمهم بالخيانة للعراق والنظام وتتحدث عن اصولهم العرقية

وتتهمهم بانهم ليسوا عراقيين بل انهم هنود نزحوا من الهند الى العراق مع جواميسهم ليستقروا في اهواره وكانت المقالات تصفهم باوصاف ما انزل الله بها من سلطان وكان ذلك بسبب الانتفاضة التي قام بها ابناء الجنوب وكانت هذه المقالات تنشر بدون اسم لكن الكل كان يجمع بانها كانت من كتابات صدام حسين الشخصية !! .

في منتصف شهر نيسان 1991 وبعد ان استقرت الاوضاع نسبيا عادت الاسواق لان تفتح من جديد ليرى الناس ارزاقهم من جديد ،وفي احد الايام كنت اجلس في محلي الذي ازاول به مهنة الصياغة في شارع النهر وكنا آنذك نجلس لقضاء الوقت ونطمئن على سلامة الاصدقاء والاهل والمعارف حتى دخلت الى محلي امرأتان شابتان كنت اعرف شخصيا احداهما لانها كانت زميلتي في الجامعة ايام الدراسة فقمت بالترحيب بهما وكانت عبارات السلام والترحيب في تلك الفترة بين الناس هي (حمد الله على السلامة) فعرفتني بصديقتها التي ترافقها وقالت لي انها تعمل في ديوان رئاسة الجمهورية ، فقالت لي صديقتها اننا في الديوان وكما هو معروف كل سنة في 28 نيسان نحتفل بعيد ميلاد (السيد الرئيس) ونعمل احتفالية كبيرة ونقدم له هدايا مختلفة لكن السيد الرئيس يرفض هذه السنة ان تعمل له احتفالية كالاعوام السابقة ، ونحن في ديوان الرئاسة ارتأينا واصرينا على ان نحتفل بعيد ميلاده ولو بشكل مبسط لنغيير مزاج السيد الرئيس ولم يبق على عيد ميلاده الا اسبوعان ونحن قد قمنا بتصميم هدية بسيطة نود تقديمها له باسم موظفي الديوان بهذه المناسبة ونريدك ان تقوم بصياغتها لنضمن حسن الصنعة ودقة العمل وهي عبارة عن مظروف صغير في داخله كارت مصنوع من الذهب ومكتوب على الكارت عبارات الاهداء بالمناسبة فأعتذرت في البداية عن عملها متحججا بانقطاع الكهرباء لتهيئة العمل في الهدية كذلك صعوبة الحصول على الغاز السائل لصهر الذهب والذي يعتبر مهما لصنع الهدية فقالت انا جئت اليك ومعي صديقتي التي تعرفك وانت زميل دراستها وهي لاتقبل مني اي عذر والهدية يجب ان تنفذ مهما كانت الصعوبات وبعد اخذ ورد تيقنت انني يجب عمل الهدية مع عرضها لي بانها يمكن ان توفر لي قنينة الغاز السائل من القصر الجمهوري فافحمتني واضطررت للموافقة وتواعدنا في اليوم التالي ان اذهب اليها الى استعلامات القصر الجمهوري لكي تعطيني قنينة غاز !!! فذهبت في اليوم التالي الى الاستعلامات وكانت البناية في حالة يرثى لها من كل النواحي ووجدت شخصا يجلس خلف الكاونتر ويضع امامه جهاز تلفون عسكري يستخدم في الميدان فسالته عن اسم السيدة فاتصل بها عن طريق التلفون وجاءت مسرعة بعد عشر دقائق وكانت محرجة جدا فقلت لها اين اسطوانة الغاز ؟؟ قالت اننا هنا في القصر عندنا كمية قليلة ومحدودة من الاسطوانات وانت تعرف الاوضاع كيف تسير الامور بعد الحرب وهي لاتصرف الا بأمر من شخص عالي المستوى حصرا ولا استطيع ان اعدك بان استطيع تلبية ما وعدتك به فسألتها ملاطفا اياها من هو هذا الشخص ؟؟ هل هو السيد الرئيس مثلا ؟؟ فقالت مبتسمة .. نعم .. فقلت هل من المعقول ان الرئيس يوزع الغاز بنفسه .. قالت هذا هو الحال !!! فقلت لها حسنا ساحاول ان احصل على الغاز باي سعر من السوق السوداء فتركتها وانا اسأل نفسي !! هل يعقل ما قالته لي !!؟ هل وصل الامر

بصدام وجبروته ان يدخل نفسه بأتفه الامور !!؟ وفي اليوم التالي استطعت ان احصل على الغاز من الاسواق وقمت بتكليف احد العمال الفنيين ليقوم بصياغة الهدية المطلوبة .

هكذا انقلب صدام رويدا رويدا وعاد الى طبيعته الاولى وتحول الى تنين مدمر بعد ان اظهر انه قد أعاد حساباته بعد خسارته حرب الكويت وطرده منها، ثم ادخل العراق بكارثة جديدة وحصار مدمر انتهى بعد اثنى عشر عاما الى حرب ثالثة في 2003 دمرت الاخضر واليابس وادخلت العراق في نفق الطائفية والاحتلال الامريكي والايراني .... ولاتزال المأساة مستمرة ....!!!.

الفصل الخامس عشر
طيارون ألمان في بغداد

لم يعتد البغداديون على مشاهدة رجال اجانب يرتدون زيا عسكريا (بدلات طيارين) ويحملون بايديهم اجهزة اللاسلكي اينما ذهبوا وهم يتجولون اما بسيارات رباعية الدفع مثبت عليها رمز الامم المتحدة (UN) بيضاء اللون ويثبتون على اعلى اذرعهم العلم الالماني وتحته شعارالامم المتحدة الدائري الازرق في دولة كانت تمنع ان تعلن على وسائل الاعلام حتى درجات الحرارة !! ومثقلة بالتوجسات الامنية والاستخبارية ، كان هذا في بغداد عام 1991 حيث كان مقر سكنهم وسط بغداد في فندق فلسطين ميريديان وكانت اعدادهم بالعشرات ، لقد كان واجب هؤلاء الطيارين قيادة طائرات الهليكوبتر التي تنقل مفتشي الاسلحة الدوليين الذين جاؤوا الى العراق بموجب قرارات مجلس الامن للبحث عن الاسلحة الكيمياوية والبايولوجية والنووية حيث كان يسكن هؤلاء المفتشون في فندق القناة الذي خصص ليكون مقرا لبعثة الامم المتحدة وسكنا للمفتشين الدوليين الذين كانوا يأتون على شكل مجموعات وحسب تخصصاتهم ومن جنسيات مختلفة وبشكل مفاجئ ليقوموا بزيارة المواقع المختلفة في العراق تلك التي يعتقدون انها منشآت لخزن او تصنيع هذه الاسلحة يرافقهم مسؤولون عراقيون لايعلمون الى اين يتجهون مع رتل المفتشين إذ لم يُسمح لهم أن يعلموا وجهتهم ليفاجئوا تلك المواقع ومن فيها فيفتشوها بحثا عن الاسلحة المحرمة التي قررت الامم المتحدة نزعها من العراق وكانت هذه الفرق تزور العراق متى تشاء وتبدأ بالتفتيش متى تشاء، وأينما تشاء، وتتكرر زيارة هذه الفرق وربما يصادف اكثر من فرقة تزور العراق ويمكن ان يستخدموا طائرات الهليكوبتر الخمس التي جيء بها من المانيا خصيصا الى العراق وهي مخصصة لمسح الاراضي العراقية من الجو بواسطة اجهزة متطورة مثبتة فيها للكشف عن مكان خزن هذه الاسلحة او الاستشعار بها او بمكوناتها، وكان هؤلاء الطيارون يتناوبون على قيادة الطائرات بالاضافة الى ما تقوم به طائرات الأواكس وعمليات التجسس؛ ليمسحوا العراق من الشمال الى الجنوب .

كل هذا عرفته عنهم لانهم كانوا يسكنون – كما قلت – في فندق فلسطين ميريديان وسط بغداد حيث كان محلي الثاني للصياغة والمجوهرات ضمن المحلات التجارية للفندق، اذ سرعان ما اصبح هؤلاء الطيارون زبائن لي وأخذوا يترددون على محلي ويشترون مني هدايا لعوائلهم واصدقائهم عندما يسافرون الى المانيا كل شهرين ليبقوا هناك لفترة ثم يعودون الى العراق وهكذا .

في اغلب الاحيان كان لي حديث معهم حول واجباتهم في بلدنا فيتحدثون عن امور تحصل في العراق وكأنهم اكثر من عراقيين فقد أدركتُ أنهم يعلمون كل تفاصيل جغرافية العراق وهذا امر طبيعي بحكم عملهم التجسسي كما انهم يتحدثون عن عمليات تكرار متعمد لكل المناطق المشتبه بها لانهم يعلمون ان النظام العراقي يناور ويتحايل بتحريك المواد والاسلحة التي قررت الامم المتحدة نزعها منه .

في احدى المرات وبعد اقل من ثلاثة اشهر على دخول هؤلاء الطيارين الى العراق دار حديث بيني وبين

مجموعة منهم حول الوقت المتبقي لمهمتهم في العراق وعن عودتهم الى المانيا فاستغرقوا بالضحك وبدوا مندهشين لسؤالي عندها اجابوني (ان الحد الادنى لمهمتهم هي ثلاث سنوات !!!) ،وبالفعل حصل ما قاله هؤلاء الطيارون .

اما فرق التفتيش فامتد عملها لاكثر من اثنى عشر عاما حتى الاجتياح الامريكي للعراق في عام 2003 واسقاط نظام صدام حسين ،وقد كانت علاقتهم بالحكومة بين مد وجزر فتارة كانت تتأزم العلاقة وتارة كانت تبدو مرنة بعض الشيء لم يتركوا دائرة حكومية الا وفتشوها ولا مخزنا او مزرعة او دورا حكومية على امتداد العراق الا وفتشوها بحثا عن الاسلحة المحضورة التي قررت الامم المتحدة نزعها من العراق فقد كانت تتأزم الامور وتصل حتى القطيعة وطرد المفتشين، وقد تم نصب كامرات في المصانع التي يعتقد انها تنتج اجزاء هذه الاسلحة مثل الصواريخ وتم هدم وتدمير المنشآت التي اعتبرت منشآت نووية وتأزمت الامور حتى قامت الولايات المتحدة بقصف اهداف منتخبة في العراق بواسطة صواريخ توما هوك من عرض البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر وعرفت في العراق (عدوان الرجعة الاولى والثانية) ثم بعد ذلك يجبر العراق بقبول قرارات مجلس الامن ويدخل تحت طائلة قرارات جديدة ومذلة بعد ان تعود على لعبة الاخلاء اي فك وتفريغ المعدات والمكائن الحساسة للتصنيع العسكري عند اي توتر او تهديد بضربة جديدة حتى اشيع ان العراق قد وضع الاسلحة المحضورة في شاحنات تدور طول اليوم بشوارع وطرق العراق لكي لاتقع بقبضة المفتشين الدوليين وهكذا استمرت لعبة القط والفأر طيلة الاثني عشر عاما وتحت ضغط حصار جائر لكل شيء ومفصل من مفاصل الحياة في العراق حتى وصلت فرق التفتيش الى القصور الرئاسية التي ادعت ان تحتها مخابئ سرية لهذه الاسلحة ولم تسلم من التفتيش غرف نوم صدام حسين بعد ازمة كبيرة وعاصفة حصلت حول هذا الموضوع بالذات!!، الملفت للانتباه انهم لم يجدوا في العراق اسلحة ذرية (كما ادعوا بوجودها) كذلك لم يجدوا اسلحة كيمياوية او اسلحة بايولوجية بالرغم من ورود قصص مفبركة سربت الى الاعلام تؤكد وجود هذه الاسلحة ولكنهم وجدوا مصانع لصنع الصواريخ (سكود) وبعد ان حصروا اعدادها امروا فرق التفتيش والكوادر العراقية بتحطيمها والتخلص منها .

في احد الايام استدعي أخ لي يعمل طبيبا اختصاصيا بالطب النووي في بغداد وبشكل سري الى القصر الجمهوري فوجد انه كان ضمن لجنة من جميع الاختصاصات عددها حوالي عشرة اشخاص تعرف عليهم هناك وامروا بعمل زيارة ميدانية الى موقع التويثة الذري القريب من سلمان باك وطلب منهم ان يجروا تقييما عاما وشاملا من قبل ديوان الرئاسة العراقي وبأمر من صدام شخصيا للبرامج التي يعمل بها المركز وبعد مدة من الوقت والذهاب والاياب والاطلاع العلمي قدموا تقريرا سريا مغلقا الى ديوان الرئاسة ليسلم الى صدام شخصيا ولم يكن أحد ليتجرأ على افشاء محتوى هذا التقرير الا بعد السقوط وكان اخي خارج العراق للعمل حينها علمت منه عند زيارتي له لاحقا ان التقرير الذي قدم لصدام يقول انه لاتوجد امكانية لعمل اي اسلحة نووية ولا اي اجزاء من هذه الاسلحة في الوقت الحاضر او السنوات القادمة ، اما البحوث والدراسات التي اوهم

صدام بها بعض الأفاقين والدجالين من عصابات التصنيع العسكري فهي مشاريع وهمية غير قابلة للتطبيق او العمل عليها بسبب نواقص وضعف تكنولوجي وان غاية هؤلاء هي سحب المكرمات والحوافز المالية السخية التي كان يغدق عليهم بها صدام ومن الاموال التي يطبعها التصنيع العسكري بدون اي رصيد حتى تحول الدينار العراقي الى ان قيمة الورق والحبراغلى من قيمته كعملة!! .

لقد كانت فرق التفتيش التي احتلت العراق لاكثر من اثنى عشر عاما تتقاضى مرتبات خيالية وسكن ونقل نوع خمس نجوم ورفاهية لامثيل لها من اموال الشعب العراقي التي كان العراقيون محرومين منها وتغدق بسخاء عليهم وتستقطع من اموال النفط الذي كان يصدر على اساس مشروع النفط مقابل الغذاء والدواء فكانت هذه الاموال تعتبر ديونا ممتازة على الشعب العراقي تستقطع من اموال النفط قبل ان يصرف المتبقي منه لشراء الحاجات الاساسية للغذاء والدواء وقد قصدوا من ذلك إلغاء إنسانية الشعب العراقي إذ أرادوا له ان يعيش ليأكل ويسد رمقه فحسب.

لقد كانت قرارات جائرة ادمت ودمرت العراقيين واهانتهم واذلتهم ولم يمر على شعب بالعالم مامر على العراقيين من ظلم وجور اشترك فيه وسببه صدام ومن هم حوله من رداحين ومنافقين ليبنوا له مجدا زائفا كذلك فان المجتمع الدولي والدول العظمى التي تقود مجلس الامن اشتركت بهذه الاهانة والظلم على العراقيين واصبحت الامور كمن يضرب آخر ويؤذيه ويعود عليه ويطالبه بثمن جهد الضربة التي وجهها له !!!!؟ وها نحن حتى اليوم وبعد اكثر من ثماني سنوات نعاني من نتائج هذه السياسة الظالمة والعراق لايزال تحت البند السابع ما يعني ان العراق لايزال يهدد الامن والسلم العالمي !! فلكم ان تتصوروا ذلك

الفصل السادس عشر
دبلوماسيون يتنبؤون

قبل أن يقدم صدام على غزو الكويت كانت علاقته بالحكومة البريطانية متدهورة بسبب اعدام السلطات العراقية لمن ادَّعي بانه جاسوس بريطاني واسمه (بازوفت) وهو من اصل ايراني يعمل صحفيا بعد أن زار العراق أُلقِي القبض عليه واتهم بانه جاء يتجسس على المنشآت النووية العراقية وحكم عليه بالاعدام عام 1989 وتدخلت العديد من الدول للافراج عنه لكن صدام ظهر عشية اعدامه وهو يزور منطقة الهندية فالتقى بامرأة مسنة تجلس في بيتها وسألها امام كامرات الاعلام (هل صدام حسين يخاف ؟؟) فأجابته وهي لاتعلم لماذا سألها صدام هذا السؤال (احنا مانخاف ولاصدام يخاف !!) وفي اليوم الثاني اعلن عن تنفيذ حكم الاعدام بالجاسوس بازوفت وصدم العالم من هذا التحدي الذي ادخل صدام نفسه به ووضع نفسه والعراق بمواجهة كل دول العالم .

لقد احاط صدام نفسه بمجموعة شخصيات لا رأي لها تؤيده على كل قرار يتخذه سواء أكان بالحق أم بالباطل ولاتنصحه عندما يشط او يزل وكان واجبهم التصفيق له في كل الميادين وينقلون له صورة وردية غير صحيحة عن حياة الشعب ويبررون له اخطاءه وينسبونها دائما لاعداء جاهزين على طول الخط فقد قيل ويقال ان اوامر اجتياح الكويت لم يكن يعلم بها سوى ثلاثة أو اربعة مسؤولين من المقربين منه وبدون علم القيادات العسكرية !! ، وشيئا فشيئا تقلصت الحلقة المحيطة به في شخصيته وادارة الدولة بعد تسنمه الحكم عام 1979 كرئيس للجمهورية وأمين سر القيادة القطرية لحزب البعث بعد قيامه باعدام اكثر من خمسة وعشرين من الكادر المتقدم للحزب وطرد عشرات آخرين قبيل تنحي احمد حسن البكر وتسنم صدام المسؤولية الاولى واستمر بذلك خلال الحرب العراقية الايرانية بابعاد العناصر النشطة في الحزب وتقريب ابناء مدينة تكريت وماحولها من عشائر الجبور ثم ابعاد هؤلاء واعدام وتصفية الكثير منهم لاسباب عديدة وتركيز القيادات بيد ابناء قرية العوجة التي ولد فيها وما هي الا فترة حتى بدا يحصر المسؤوليات بيد اولاد عمه واقاربه واولاده وقام بمنحهم الرتب العسكرية والمسؤوليات بالجملة وبدون اي شعور بالمسؤولية واغدق عليهم الاموال والاراضي والمنح والسيارات وميزهم عن غيرهم وتعمد اذلال القيادات العسكرية الحقيقية وصغار ضباط الجيش وكل الموظفين في دوائر الدولة مما أجبرهم على أن يتحولوا تدريجيا الى مرتشين بسبب ارتفاع نسبة التضخم وهبوط قيمة الدينار العراقي وبقاء الرواتب التي يتقاضونها على حالها مما اعطاهم المبرر لتلويث ذممهم وقبولهم الرشوة !!.

لقد كنت التقي ببعض الدبلوماسيين العرب والاجانب الذين عادت وافتتحت دولهم سفاراتها في العراق لان اغلبهم كانوا زبائن لي بمحلي في فندق فلسطين ميريديان وسط بغداد وكانوا يزورونني بانتظام هم وزوجاتهم للتبضع وكنت أدعى إلى اغلب احتفالات هذه السفارات التي تقام في فنادق بغداد الكبرى بمناسبات تلك الدول كالاعياد الوطنية وغير ذلك من المناسبات المختلفة مما فتح المجال للحوار وتبادل الافكار بيني وبينهم

بصراحة ، لقد كانوا متذمرين ومتألمين بنفس الوقت على الاحوال المتردية التي وصل اليها العراق وعلى جميع الصعد وكنت دائما اوقع اللوم على قرارات الحصار الجائرة ضد العراق والتي تاثر بها مباشرة الشعب العراقي واضعفته وسلبت قدرته على الاعتراض او ان يكون له رأي مؤثر بينما هم يؤكدون على الحياة الباذخة والمسرفة التي يعيش بها صدام ومن يحيط به ومباشرته ببناء اكثر من خمسة وسبعين قصرا في جميع انحاء العراق ، فكان ردهم مختلفا تبعا لمواقف تلك الدول فمنهم من يتعاطف مع العراق والشعب العراقي ويضع اللوم على الحكومة ومنهم من يساند الحكومة العراقية بالحق والباطل وهم أتباع الدول العربية وخاصة الدول ذات النهج القومي التي تلتقي مع سياسة العراق وخاصة الدول التي ايدت العراق في اجتياح الكويت وهناك دول غربية وصديقة تضع اللوم على سلوكيات الحكومة العراقية وسياستها المتشنجة والمتطرفة والتي لاتنسجم مع النهج الدولي ومسيرة الامن والسلام العالميين .

اتذكر باستمرار الحديث الذي دار بيني وبين السيد (مصطفى) سفير باكستان في العراق عام 1995 وهو دبلوماسي محترف دمث الاخلاق عمل في كل قارات العالم كسفير لبلده ويحضى باحترام وتقدير كبير وهو اول من حاول كسر الحصار الجوي المفروض على العراق حيث استحصل حينذاك موافقة الامم المتحدة على انزال طائرة ركاب تنقل زوارا باكستانيين للعتبات المقدسة في مطار بغداد ونجح في ذلك ، لقد سألني سؤالا وطلب مني الاجابة : (هل يستطيع صدام حسين ان ينقل العراق عبر المحيطات ويضعه بمكان آخر غير مكانه الحالي بعيدا عن ايران وتركيا وسوريا والاردن والسعودية والكويت ؟؟ ... لأنه هل من المعقول ان دولة تتخاصم وليس لها علاقات دبلوماسية مع الدول الست المحيطة بها ولا يملك حتى منفذ له ولشعبه !!! ؟؟) لقد سألني هذا السؤال وطبعا كان جوابي بكلا عندها استطرد السيد مصطفى وقال : (أن اياما عصيبة تنتظر العراق ولا مستقبل لهذا البلد طالما تحكمه هكذا عقول للاسف) . هذا ماكان عليه حال العراق بعد اجتياحه الكويت وما نتج عنه من مأساة يعيشها العراقيون الان بالرغم من ادعاءات الحرية والديمقراطية التي جلبها الامريكان بعد ماقدموا العراق على صحن من ذهب الى ايران نتج عنه طائفية بغيضة أتت على الاخضر واليابس ، وهاهم العراقيون يدفعون الثمن غاليا لالسبب اقترفوه وانما بسبب حكام حكموه لاربعين سنة حكما شموليا دمويا تلبس بالقومية وادعى الإنسانية والديمقراطية وهو عنها بعيد بعد الأرض عن السماء ولم يحصد من وارائها الشعب سوى الهلاك والدمار والتخريب وملايين الضحايا والمهجرين والأمر من كل ذلك أنه مهَّد للاحتلال الأمريكي والغربي وتقسيم الثروات وإحلال قوى الظلام لتجثم على رقاب المساكين الذين استبشروا خيرا بسقوط نظام البعث وقادته الطغاة فلم يجنوا سوى مواعيد عرقوب.

أنتهـــــــــى

"يستعرض الكتاب عبر فصوله الستة عشر المأساة التي تعرض لها العراق: انساناً وارضاً خلال الفترة الزمنية التي سبقت احتلال الكويت ولغاية طرد قوات صدام منها، عبر عملية عاصفة الصحراء، وما تبعها من احداث جسام شكلت مفاصل هامة في مسيرة العراقيين ابتداء من فرض وقف اطلاق النار وفقاً لقوانين المنتصر، مروراً بالعقوبات الاقتصادية ولغاية سقوط نظام صدام في التاسع من نيسان (ابريل) 2003.

يؤكد الحيدر في كتابه ان قرار النظام العراقي البائد باحتلال الكويت فتح الباب على مصراعيها للكثير من الازمات، شارحاً بسرد قصصي الاحداث الحقيقية التي عاشها، برفقة الاف الجنود على الحدود العراقية – الكويتية، في الايام التي شهدت توتراً ملحوظاً بين الطرفين لتعلن ختامها باحتلال اهوج، ما زال العراق يدفع فاتورته لغاية الآن.

ويتساءل المؤلف في مقدمة كتابه: هل استوعب العراقيون الدرس وما جره من ويلات على ارض العراق ومستقبل شعبه، وهل هم بحاجة الى نكبات اخرى كي يستفيقوا؟"

فؤاد ناصر-ايلاف